ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل جمعة - الثمن : 3 دراهم

السنة 35 - العدد 1001 - الجمعة 17 رمضان 1423 هـ - الموافق 22 نونبر 2002

بسم الله الرحمن الرحيم

ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن

صدق الله العظيم

جلالة الملك يقول في خطابه بمناسبة الاحتفال بالذكرى 27 للمسيرة الخضراء

« مغرب المستقبل . مغرب الاستقرار والتقدم الوفي لهويته الحضارية المنفتح على عصره الفاعل في محيطه الجهوي والدولي »

احتفل الشعب المغربي بالذكرى السابعة والعشرين للمسيرة الخضراء ، وبالمناسبة وجه جلالة الملك محمد السادس نصره الله، خطابا إلى الأمة بين فيه جلالته مغزى هذا الاحتفال ودلالته ، معتبرا أن المسيرة الخضراء، لم تمكننا فقط من استرجاع أقاليمنا الجنوبية بل «تعد أيضا، ميلادا لمغرب جديد وكنزا لا ينفذ للفضائل الوطنية السامية ومرجعا لاستخلاص العبر» منبها جلالته إلى أن المسيرة الخضراء لم تكن تستهدف استرجاع التراب الوطني المغتصب فحسب، بل كذلك تحرير المواطن في الجنوب من قبضة الاستعمار، وهو ما يعني إقامة منشآت اقتصادية واجتماعية، الأمر الذي حدا بجلالته إلى إنشاء وكالة خاصة للانعاش وتنمية الأقاليم الجنوبية.

وبهذه المناسبة أمر جلالته بعقد المجلس الإداري للوكالة السالفة الذكر في أقرب الآجال مؤكدا جلالته موصول عنايته الفائقة لجعل هذه الأقاليم قطبا للاستثمار ونموذجا للتنمية الجهوية في أفق تحقيق غاية جلالته المثلى، في أن ينعم جميع المغاربة بالحرية والكرامة في التزام تام بواجبات المواطنة » « مستلهمين روح المسيرة الخضراء التي كان سلاحها الإيمان والقرآن».

- تفسير سورة الفاتحة
- يوم الفرقان يوم التقى الجمعان
- ثواب الصوم الخالص لله تعالى

ذكرى وفاة جلالة المغفور له محمد الخامس

لقد اطلت ذكرى وفاة فقيد العروبة والاسلام جلالة المغفور له محمد الخامس في عاشر رمضان 1423 ذكرى عظيم من عظماءالتاريخ ومجاهد كبير من ألمع أعلام البشرية، ومقاوم أول تربع على عرش أسلافه الغر الميامين في وقت كانت فيه أمته ترسف في قيد الاستعمار المقيت، ذلك الاستعمار البغيض الذي كان جاثما بكلكله في إبان تولي المغفور له شئون أمته على كثير من شعوب العالم وكانت الشعوب الافريقية تئن أكثر من غيرها من وطأت هذا الغاصب المارد المعتدي على حرية الشعوب واغتصاب أرضها واستغلال خيراتها، ظلما وعدوانا، فتصدى المجاهد الأكبر والمقاوم الأول جلالة محمد الخامس من نحيي ذكرى وفاته بكل خشوع وإجلال ... تصدى للغاصب وأذنابه قصد تحرير بلده المغرب، واستقلال وطنه، وصيانة كرامة شعبه، الذي يكن لجلالته كامل الوفاء وصادق الحب والاخلاص... فحافظ على الهوية المغربية ودافع عن الثوابت الأصيلة لهذه الأمة العريقة في المجد والمعروفة بإبائها وشممها ودفاعها عن كرامتها، فالدم العربي والأمازيغي الذي يجري في عروق المواطن المغربي لا يرضى بالذل والهوان والخنوع لأي كان وذلك ما أبرزه للعالم أجمع جلالة المغفور له محمد الخامس عندما فجرها مقاومة ضد الغازي لا تبقى ولاتذر حتى يتحرر شعبه ويستقل وطنه الغالي.

ولم يدخر جهدا عن فك ربقة شعبه من الغاصب الاجنبي فضحى بعرشه وبجميع أفراد أسرته الشريفة المجاهدة وبمعيته ساعده الأيمن ورفيقه في الكفاح، وشمس عصره ومفخرة وطنه، وزينة قرنه، وارث سره جلالة المغفور له الحسن الثاني، فكان لثورة الملك محمد الخامس على الاستعمار ومعاقله ومن ورائه الشعب المغربي الذي لا يقهر أن حرر أمته، ومكن وطنه من أغلى مكسب ألا وهو الحرية والاستقلال وكان لثورته المثالية على الظلم في وقت مبكر وقع في نفوس الأحرار من قادة العالم وشعوبه، فلهجت الألسن بالثناء عليه، وتبارت أقلام الكتاب والشعراء في نشر مدحه وإبراز مواقفه المشرفة ... وانتزاع إعجاب العالم كله، ولا غرابة في ذلك فمنذ أن حبى الله هذه الأمة المغربية الصامدة بقيادة العرش العلوي المجيد وهي محفوظة الكرامة منيعة الجانب بالرغم مما حيك ضدها ويحاك من مؤامرات تستهدف كيانها، وتناهض استقلالها وتحاول تشرذمها، لكن بدون جدوى فبقيادة العرش العلوي المجيد والتحام الشعب المغربي من ورائه المعروف بوفائه للبيعة وإخلاصه اللامتناهي لهذا العرش والجالس عليه.

بهذا الالتحام بين العرش والشعب تكسرت مرآت أحلام الطامعين على صخرة إيمان العرش والشعب وجهادهما ، المشرف.... فتحقق للمغفور له جلالة الملك محمد الخامس ما كان يصبو إليه من استقلال أمته وحرية شعبه ولم تتوقف مسيرة التحرير والبناء والتشييد من بعده حتى توحد هذا الوطن الغالي في ظل وارث سره، ورفيقه في الكفاح، جلالة المغفور له الحسن الثاني طيب الله ثراهما، وهاهو خلفهما من بعدهما، ووارث سر أجداده المنعمين، أمير المومنين جلالة الملك محمد السادس يحمي حمى هذه الامة ويبنيها على أسس المشروعية والعدل والديموقراطية والحق والقانون، أدام الله ملكه وأبد في الصالحات ذكره وأقر عين جلالته بصنوه السعيد سمو الامير الجليل مولاي رشيد وبجميع افراد اسرته الشريفة انه سميع مجيب.

كما نبتهل الى الله جلت قدرته ان يتغمد جلالة المغفور له محمد الخامس ومفخرة الانسانية جلالة المغفور له الحسن الثاني بواسع رحمته ، وان يجعلها مع الذين انعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا.

انه على مايشاء قدير وبالاجابة جدير.

بقلم لارباس الشيخ ماء العينين

باب هيئة الصلاة بكمالها

مع الامام ابن عبد البر في كتاب الكافي

كمال الصلاة بعد إسباغ الوضوء، واستقبال القبلة، التكبير مع النية ورفع اليدين. مع التكبير. حذو المنكبين، ووضع اليمنى منهما على اليسرى أو ارسالهما، كل ذلك سنة في الصلاة ثم القراءة بأم القرآن، فإذا فرغ منها قال: آمين سرا، أو أسمع نفسه، ولو جهر بها لم يخرج، وقد اختلف في قول الإمام آمين: فالمدنيون يروون عنه ذلك، والمصريون يأبونه عنه، ولم يختلفوا في المأموم والمنفرد انهما يقولانها ويقرآ في الصبح وفي الأوليين من غيرها بأم القرآن وسوره معها، ويجهر فيما يجهر فيه ان كان ليلا. وكذلك صلاة الصبح، والجمعة، والإسرار فيما يسر فيه من صلاة النهار ولاتستفتح المكتوبة بشيء من الذكر غير تكبيرة الإحرام، والقراءة بأخرها ثم يركع فان رفع يديه فحسن وإلا فلا خرج فإذا اعتدل راكعا سبح الله وعظمه ،ولا حد في ذلك عند مالك وغيره يقول: أقل الكمال ثلاث تسبيحات، وقد روى ذلك أبو مصعب عن مالك، والتسبيح أن يقول: سبحان ربي العظيم في الركوع، وسبحان ربي الأعلى في السجود وإن عظم الله بغير ذلك فلا بأس، ثم يرفع رأسه فيعتدل قائما ويقول مع رفع رأسه، سمع الله لمن حمده، وقد قيل: لايقولها حتى يستوي قائما، والأول هو المذهب الصحيح، فان كان منفردا قال مع ذلك ربنا لك الحمد، أو ربنا ولك الحمد كيف شاء، وإدخال الواو هنا أصح من جهة الأثر، وإليه ذهب مالك في اختياره، وإن شاء رفع يديه، وإ شاء لم يرفع، وإن كان مأموما لم يقل سمع الله لمن حمده، وقال: ربنا ولك الحمد. ويقنت في صلاة الصبح الإمام والمأموم والمنفرد، إن شاء قبل الركوع، وإن شاء بعده، كل ذلك واسع والأشهر عن مالك القنوت قبل الركوع، وهو تحصيل مذهبه، والقنوت بالصورتين عند مالك: اللهم إنا نستعينك واللهم وإياك نعبد . وان قنت بغيرهما فلا حرج، ولابأس برفع الصوت في القنوت. ومن لم يقنت فلا شيء عليه. ثم ينحط للسجود بالتكبير فان وقع منه إلى الأرض ركبتاه ثم يداه، ثم وجهه فحسن، وإلا فلا حرج في الرتبة في ذلك، ولاحرج فيه عندنا، ويقول سبحان ربي الأعلى وإن شاء دعا فهو موضع الدعاء وأقل الكمال ثلاث تسبيحات، أو قدرها من الدعاء وليس لأكثره حد، إلا أن من كان إماما لم يطول على الناس ولم يرفع رأسه بالتكبيرة حتى يستوي قاعدا على رجله اليسرى وينصب اليمنى ثم ينحط بالتكبير إلى السجدة الثانية كالأولى، ثم يقوم إلى ركعته الثانية، فيفعل فيها وفي سجودها كما فعل في الركعة الأولى، فإذا رفع رأسه من السجدة جلس كالجلوس بين السجدتين، وتشهد، ثم قام إلى الأخيرتين مكبرا، حتى ينهض قائما، ويستحب مالك ان لايكبر حتى يستوي قائما فيسر فيهما بالقراءة على كل حال، ولايزيد فيهما على فاتحة الكتاب في كل واحدة منهما، فإن زاد لم يحرم عليه ولم تفسد صلاته ثم يتشهد في آخر صلاته وجلوسه في ذلك مثل جلوسه في التشهد الأول. فان استقبل بأصابع رجليه القبلة في الصلاة، فنصب اليمنى، وخفض اليسرى فلا بأس بذلك أيضا، ويدعو بعد تشهده إن شاء بما شاء مما يصلح من أمور الدين والدنيا، ولا يطيل إن كان إماما ثم يسلم على ما تقدم في الباب قبل هذا، ولابأس بالدعاء في كل أحوال الصلاة، قائما وساجدا، وجالسا بين السجدتين، ويكره الدعاء في الركوع كما تكره فيه القراءة فإن دعا راكعا فلا حرج ولو سمى أحدا يدعو له أو يدعو عليه لم يضره.

كتاب الكافي في فقه أهل المدينة المالكي
أبي عمر يوسف بن عبد الله محمد بن عبد البر النمري القرطبي
ص:206.207. 208.

أحاديث في قيام شهر رمضان ، وهو التراويح

■ 4215 قالت« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر الأواخر من رمضان أحيى الليل، وأيقظ أهله ، وجد، وشد المئزر، أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي.
ولمسلم قالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهدفي رمضان مالا يجتهد في غيره ، وفي العشر الأواخر منه مالا يجتهد في غيره.
وفي رواية الترمذي « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد في العشر الأواخر مالا يجتهد في غيره.

■ 4216. (عن انس بن مالك رضي الله عنه) قال: « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم في رمضان، فجئت فقمت إلى جنبه، وجاء رجل فقام أيضا، حتى كنا رهطا، فلما أحس النبي صلى الله عليه وسلم أما خلفه جعل يتجوز في الصلاة، ثم دخل رحله، فصلى صلاة لا يصليها عندنا ، قال فقلنا له حين أصبحا : فَطِنتَ لنا الليلة؟ قال: نعم ذاك الذي حملني على ما صنعت ، قال: فأخذ يواصل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك في آخر الشهر، فأخذ رجال من أصحابه يواصلون، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما بال رجال يواصلون؟ إنكم لستم مثلي ، أما والله لو تمادى بي الشهر لواصلت وصالا يدع المتعمقون تعمقهم اخرجه مسلم.

■ 4217. (عن عائشة رضي الله عنها) قالت: « إن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في المسجد، فصلى بصلاته ناس، ثم صلى من القابلة ، فكثر الناس، ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة ، فلم يخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما أصبح قال: قد رأيت الذي صنعتم ، ولم يمنعني من الخروج إليكم إلا أني خشيت أن تفرض عليكم ، وذلك في رمضان».
وفي رواية : قالت« كان الناس يصلون في المسجد في رمضان) أوزاعا، فأمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم، فضربت له حصيرة ، فصلى عليه... بهذه القصة، قالت فيه : قال : تعني النبي صلى الله عليه وسلم. : أيها الناس ، أما والله مابت ليلتي هذه بحمد الله غافلا، ولا خفي علي مكانكم » أخرجه أبو داود.
وفي رواية البخاري ومسلم «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من جوف الليل، فصلى في المسجد، فصلى رجال بصلاته، فأصبح الناس يتحدثون بذلك، فاجتمع أكثر منهم، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الليلة الثانية فصلوا بصلاته، فأصبح الناس يذكرون ذلك، فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة، فخرج فصلوا بصلاته ، فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله، فلم يخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فطفق رجال منهم يقولون الصلاة، فلم يخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى خرج لصلاة الفجر، فلما قضى الفجر أقبل على الناس، ثم تشهد فقال: أما بعد، فإنه لم يخف علي شأنكم الليلة، ولكني خشيت أن تفرض عليكم الليل ، فتعجزوا عنها.
وفي رواية بنحوه ومعناه مختصرا ، قال « وذلك في رمضان» .
زاد في أخرى « فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والأمر على ذلك.
وفي رواية البخاري« أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي في حجرته، وجدار الحجرة قصير، فرأى الناس شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام ناس، يصلون بصلاته، فأصبحوا فتحدثوا ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم، الثانية يصلي ، فقام ناس يصلون بصلاته ، فصنعوا ذلك ليلتين أو ثلاثا، حتى إذا كان بعد ذلك جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يخرج، فلما أصبح ذكر ذلك له الناس، فقال: إني خفت أن تكتب عليكم صلاة الليل».
وفي رواية الموطأ مثل رواية أبي داود الأولى، وزاد فيها، بعد الثالثة والرابعة»، وأخرجه النسائي الأولى من روايتي أبي داود.

■ 4218. (عن زيد بن ثابت رضي الله عنه) قال« احتجر رسول الله صلى الله عليه وسلم حجيرة بخصَفةٍ أو حصير. قال عفان: في المسجد ، وقال عبد الأعلى : في رمضان. فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فيها ، قال : فتتبع إليه رجال ، وجاؤوا يصلون بصلاته ، قال : ثم جاؤوا (ليلة) ، فحضروا، وأبطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فلم يخرج إليهم ، فرفعوا أصواتهم ، وحصبوا الباب، فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مغضبا، فقال لهم: مازال بكم صنيعكم حتى ظننت أنه سيكتب عليكم ، فعليكم بالصلاة في بيوتكم، فإن خير صلاة المرء في بيته إلا الصلاة المكتوبة.
وفي حديث عفان، ولو كتب عليكم ما قمتم به»، وفيه فإن أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة، أخرجه البخاري ومسلم ، وأخرجه أبو داود، ولو يذكر، في رمضان».
وفي رواية النسائي « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ حجرة في المسجد من حصير، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيها ليالي، فاجتمع إليه ناس، ثم فقدوا صوته ليلة ، فظنوا أنه قد نام، فجعل بعضهم يتنحنح ليخرج ، فلم يخرج فلما خرج للصبح قال: ما زال بكم الذي رأيت من صنيعكم ، حتى خشيت أن يكتب عليكم، ولو كتب عليكم ما قمتم به، فصلوا أيها الناس في بيوتكم ، فإن أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة.

■ 4219 (عن أبي هريرة رضي الله عنه) قال: « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس في رمضان وهم يصلون في ناحية المسجد، فقال: ماهؤلاء؟ قيل: هؤلاء ناس ليس معهم قرآن ، وأبي بن كعب يصلي بهم، وهم يصلون بصلاته، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أصابوا) ، ونعم ماصنعوا.» أخرجه أبو داود. وقال: هذا الحديث ليس بالقوي، مسلم بن خالد ضعيف.

■ 4220 (عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه) قال « صمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم رمضان،فلم يقم بنا حتى بقي سبع من الشهر، فقام بنا حتى ذهب ثلث الليل، ثم لم يقم بنا في السادسة، وقام بنا في الخامسة حتى ذهب شطر الليل ، فقلنا له: يارسول الله ، نفلتنا بقية ليلتنا هذه، قال: إنه من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة، ثم لم يقم بنا حتى بقي ثلاث ليال من الشهر، فصلى بنا في الثالثة، ودعا أهله ونساءه ، فقام بنا حتى تخوفنا الفلاح، قلت: وما الفلاح؟ قال : السحور « أخرجه الترمذي وأبو داود والنسائي ، إلا أن أبا داود قال" « حتى خشينا أن يفوتنا الفلاح» وزاد هو والنسائي « ثم لم يقم بنا بقية الشهر» أخرجه النسائي بغير زيادة.

■ 4221 . عن النعمان بن البشير رضي الله عنه) قال: « قمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان ليلة ثلاث وعشرين من ثلث الليل الأول، ثم قمنا معه ليلة خمس وعشرين إلى نصف الليل، ثم قمنا معه ليلة سبع وعشرين، حتى ظننا أن لا ندرك الفلاح ، وكانوا يسمونه السحور، أخرجه النسائي.

4222 (عن عبد الرحمان بن عبد القارئ) قال: خرجت مع عمر بن الخطاب ليلة إلى المسجد، فإذا الناس أوزاع متفرقون، يصلي الرجل لنفسه ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط فقال عمر: إني (أرى) لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل، ثم عزم، فجمعهم على أبي بن كعب، قال : خرجت معه ليلة أخرى، والناس يصلون بصلاة قارئهم ، فقال عمر: نعمت البدعة هذه ، والتي تنامون عنها أفضل من التي تقومون. يريد : آخر الليل. وكان الناس يقومون أوله، أخرجه البخاري والموطأ.

■ 4223 . (عن السائب بن يزيد) قال : أمر عمر أبي بن كعب وتميما الداري : أن يقوما للناس في رمضان بإحدى عشرة ركعة، فكان القارئ يقرأ بالمئين، حتى كنا نعتمد على العصيّ من طول القيام، فما كنا ننصرف إلا في فروع الفجر. أخرجه الموطأ.

■ 4225 (عن عبد الرحمان بن هرمز) الأعرج سمع يقول: « ما أدركنا الناس إلا وهم يلعنون الكفرة في رمضان" قال : وكان القارئ يقرأ سورة البقرة في ثمان ركعات ، فإذا قام بها في إثنتي عشر ركعة رأى الناس أن قد خفف». أخرجه الموطأ.

انظر جامع الاصول ج 6 ص: 114-124

الوثاق

تفسير الفاتحة للعلامة العارف بالله سيدي عبد الرحمن بن محمد الفاسي

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

يقول الشيخ العلامة العارف بالله سيدي عبد الرحمن بن محمد الفاسي رحمه الله تعالى ورضي عنه.

الأستاذ : إدريس كرم

الحمد له منزل الكتب بيانا وتبيانا ونورا وهدى مبينا وفرقانا، وصلى الله على سيدنا محمد، مهبط وحيه ومظهر رحمته عيانا، وعلى آله وبعد:

فالقصد ذكر شيء من تفسير الفاتحة إشارة، وقد جاء أنها السبع المثاني والقرآن الكريم.

قيل سميت مثاني لأنها استثنيت لهذه الأمة كما جاء في ابن عباس، وأما إطلاق القرآن عليها فلاشتمالها على علومه، ولذلك سميت أم القرآن، لكونها الأصل الجامع لمعاني القرآن ومقاصده، وتوحيد الله تعالى وأمره ونهيه، ووعده ووعيده، فكانت لذلك أعظم سورة في القرآن، وشرع تعليمها على كل أحد، وطلبت قراءتها في كل ركعة من الصلوات، كما أن الصلاة مجموع العبادات الفعلية، فناسبها ما يجمع العبادات القولية وهي الفاتحة.

وقد جاء ليس في التوارث ولا في الإنجيل مثلها ولا في القرآن، وقد قيل مثل الكتب المتقدمة كفضة كثيرة، ثقلت على مريد السفر بها فابتاع بها ذهبا، فذلك مثل القرآن ثم ثقل عليه الذهب فابتاع جوهرا فذلك مثل أم القرآن.

وقد تعرف تعالى فيها لخلقه بما يشير لذاته وصفاته وأفعاله، فتعرف فيها أولا بما يشير لذاته باسمه الله، وهو يشير لحقيقته ووحدته، بحيث لا وجود لغير معه، كما نبه عليه السلام على ذلك بقوله أصدق ما قيل "الاكل شيء ما خلا الله باطل"، وحينئذ تولى تعالى ثناءه على نفسه إشارة إلى أنه الحامد والمحمود، فقال الحمد لله، ثم تنزل معترفا لعباده بالإشارة، لسر ربوبيته الممتد والساري في العوالم كلها، بحيث أنهم لاهم من حيث لا مادة، وهو هم من حيثيتها بهم مع كثرتهم وتعددهم مظهر للوحدة، ومعترفون بها مع العجز عن الإحاطة بكنه الأمر وحقيقته إلا بما شاء تعالى لمن شاء، ثم تنزل في تعريف تلك المادة الأحدية بقوله الرحمن الرحيم، إشارة إلى أنه عن الرحمانية ظهرت الأكوان، ولولا تجليه تعالى بوصف الرحمة لبقي الكون في طمس العدم الذي يقتضيه أحدية وجوده، فلا يكون لغير معه وجوده ولا يتصور كون...

متصدر سواء، لكن يفيض في الابتداء والتجلي، الأول الذات ولا ثنيا وإنما نشأ التفصيل من تجلي الصفات المشار إليه بالرحيمية التي منها وعنها الامدادات الوصفية، والنعوت الكونية، من سعادة بإصابتها وشقاوة لفقدها، وغير ذلك من الصفات لا الذوات، لأنه مظهر واحد لشيء واحد، كما يشير لذلك سبقية الرحمة وغلبتها، وكذا الإستواء الرحماني على العرش الكلي، فتعدد أوصاف الكون واختلافه مظهر ودليل يهدي لتعدد الأسماء والصفات، كما أن توحد مادة وجوده مظهر ودليل يهدي لتعرف وحدة وجود الحق وأحديته في ذاته، وفي ذلك أوليته لكل شيء لأنه أصيب في كل شيء الظاهر في كل شيء.

وكما وجب وعرف له ذلك بدء فهو مستمر لا آخر أو عددا، لأنه الأولوية والأخروية إضافات مرجعها في وصفه تعالى لشيء واحد، ووصفه لا يتغير، ثم كما أنه رب العوالم ذوات وصفات، فهو ملكها، والذي إليه تصريفها، وإجراؤها على ما دبره لها وجرى لها منه ابتداء فهي صائرة وواصلة إليه، لا تخرج عن حكمه وقضائه على ما هو شان الملك النافذ الأمر والقضا، بلا معارض لعدم الشريك في تدبيره، أو المنازع فعرف بذلك وحدته في ملكه، ونفوذ تدبيره سرمدا، فهو كل يوم في شأن يبديه لا يبتديه، وإلى إظهار التفاصيل عن القضاء الأول الكلي، يرجع القدر والإعتراف به، وهو على الإطلاق والعموم.

وإنما خص يوم الدين باعتبار صيرورة المعرفة بذلك فيه ضرورية لكل رمز، كقوله: والأمر يومئذ لله، مع كونه لم يزل ولا يزال لله، ولكن إنما يشهد الغيب بحقيقة الخواص والعوام، إنما يشهدونه عند كشف الغطا، فحينئذ تنقطع الدعاوي ويتضح الأمر، ويقول تعالى، أنا الملك أين ملوك الأرض، هذا مع الإشارة لتعظيم ذلك اليوم أيضا، وحينئذ حصل تعرف العباد له بتعريفه هذا بنفسه، وذكرهم له بتذكيره المفيد لتقريبه، والقرب منه استحق بمقتضى الحالة والمقام، أن يقبل عليه ويفرد بما يستحقه من خلوص العبادة له ثم الاستعانة به على ذلك والتبري من الحلول والقوة، وفي الإقرار بذلك تبر من الجبر ومن القدر، والتوسط بينهما، وتدرك ورد هذه بيني وبين عبدي، لأن العبادة وصف العبد والعون من الله له حتى يوقعها على وجهها ظاهرا وباطنا، لأن الأمر كله إليه تعالى لكن إنما يوفق لذلك من سبقت له من الله العناية بأن القى عليه من نور الهداية الصادقة بالمواجهة تصريح نوره مكافحة كما أشار تعالى بقوله: **يهدي الله لنوره من يشاء**، كما هو حال خاصة الخاصة من أهل الشهود والعيان، وعلى تلك الحالة نبه بضرب المثل بنفوذ نور المصباح من الزجاجة الروحانية اللطيفة إلى مشكاة الهياكل الجسمانية الكثيفة، وذلك أن الكون بأسره كان بظلمة العام محجوبا عن نور القدح، ثم أظهره تعالى بما أفاض عليه من نور الوجود وبينه بعد أن كان في فضاء العدم فالنور البيان، والله نور السموات والأرض وسائر الكون مرآة لتجليه فيه بقدرته ظهورا، وبسره ونوره غيب يهدي لذلك من يشاء لأن من نوره اليقين وهو سراج يضيء، وفي قلب العبد المومن وهو من نور الحق ينظر به إليه، ويكشف له به عن بدائع صنعه في ملكه، ويشهد قدرته الله وسلطانه، ولما كان ذلك مشهودا غيبيا للقلوب ضرب له مثلا محسوبا بين فيه وضوح نوره ونفوذ شعاع إمداده وظهوره في الكون بأسره، كما ينفذ شعاع المصباح وينبسط في الكوة من وراء الزجاجة لصفائها، وكذلك ينفذ شعاع الإمداد منه تعالى من لطائف الكون الروحانية، ولا يحجب ذلك علو عن أسفل، ولا لطيف عن كثيف، والخلق متفاوتون في شهود ذلك، فمنهم من يكشف له عن سر ذلك غيبا وهم العارفون وأهل الاستبصار من النبيئين والصديقين، ثم هم متفاوتون في ذلك تفاوتا لا حصر فيه ولا غاية لمراء.

ومنهم من يوقف به عن شأو ذلك إلى الاعتبار، وهم الاعتبار، وهم من دونهم من الشهود والصالحين، كما نبه تعالى عن ذلك أيضا، بعد ضرب المثل لأهل الاستبصار أيضا، بقوله لرسوله "**فاستمسك بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم**" وأشار لما يشمل الفريقين بقوله: "**وأن اعبدون هذا صراط مستقيم**" وقد عهد تعالى بذلك يوم "**ألست بربكم**"، وطلب الرفا (هكذا وجد) بذلك بالتذكير بالآيات المتلوة والمجلوة، وأرسل الرسل مذكرة بذلك كله، وأيدها بالمعجزات وإلى عموم الفريقين أشار بقوله "**صراط الذين أنعمت عليهم**" من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين بعد أن أشار لذلك في الفاتحة بباء البسملة المنبهة على كون الأشياء كلها بالله، ثم مرجعها لله لقوله(الحمد لله) ثم بالربوبية المطلقة، ثم بالرحمانية العامة، والرحيمية الخاصة، ثم أشار لمن تقاصر عن ذلك بالملك المقتضي لعموم التصرف، ونفوذ الإقتدار، الذي هو مناط الإعتبار.

والحاصل أنه تعالى تنزل لعباده من الإشارة البادية إلى الألوهية الصريحة، ثم إلى الربوبية ثم إلى الرحمانية والرحيمية، ثم إلى الملكية، وإن شئت قلت من الذات إلى الصفات، ثم إلى الأفعال، ولا يخرج عن ذلك منعم عليه قد هدى إلى صراطه وتقديمه، وإن تفاوتوا في ذلك، ثم قرب كل أحد من الحضرة الربوبية على حسب تقويمه في فطرة روحه وعقله وبعده بحسب بعده من ذلك وقربه من هواه ونفسه كما قال تعالى "**لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقوم**" قيل روحا وعقلا "**ثم رددناه أسفل سافلين**، قيل نفسا وهوى.

فالكمال مدارج روحانية يرتقي فيها ويحسها، ويدرك وينال من كمال الحضرة الألوهية التي هي مناط الرحمة والسعادة التي هي نعمة مطلقة، فإن النعيم وإن تنوعت مظاهره، فإنما هو من الشهود والاقتراب، كما أن العذاب وإن تنوعت مظاهره فإنما هو من البعد والاستجاب.

وقد اختصر الله الكون علويه وسفليه في نسخة الأدمي، وجعله مناسبا للشياطين بنفسه وهواه، فإن غلب عليه ذلك كان مبعدا من رحمته، والأصل التقويم والاعوجاج عارض، والى ذلك الأصل الإشارة بالفطرة، كما قال تعالى: "**فطرة الله التي فطر الناس عليها**"، وورد كل مولود يولد على الفطرة الحديث،

ورد أيضا خلقت عبادي حنفا، وهذا كما خلق الله الماء طهورا، وإنما يتقدر بالارضيات المخالطة له، ثم من المنعم عليهم من لم يفارقه التقويم الأول قط كالأنبياء عليهم السلام، فهم معادن الكمال، والوصلة بلا انقطاع، ولا فرقة، ومنهم من وقع عليه أسر النفس والهوى حتى تداركه الحق بإمداده بنوره وتأييده، ففكه من أسره وخلصه من وثاق نفسه، وهم الصديقون، ومنهم الساعي في خلاصه من ذلك بإقباله وتوجهه، فتارة له وتارة عليه، وهم المتأخرون فإن ماتوا على ذلك ولم يتمكنوا من الخلاص كانوا شهداء، ومنهم من أقيم في الخدمة وتزيين القوالب بالطاعة وهم الصالحون، والكل منعم عليهم، ولكن ليس البدر كالشمس.

وعلى الجملة فلكل قسط في الرحمة، وقيل من السعادة والنعمة، وانما يخرج من ذلك الضال عن الضال عن صراطه، الراجع عن أصل تقويمه وفطرته المتردي عن شاره (هكذا) لجهله. وبعده. عن ربه.

هذا والسعادة منوطة بسلام القلب عن عوارض هذا العالم والميل لشيء منه، قال تعالى: "**إلا من أتى الله بقلب سليم**" وهذا الذي لا علاقة له بشيء مما يتعلق بالدنيا، وبذلك تصير النفس مطمئنة راجعة الى ربها، راضية مرضية، داخلة في زمرة المنعم عليهم من النبيئين، والصديقين، الآية وهو إذن الإستواء على الصراط المستقيم، لوقوفهم على حد الإعتدال وخروجهم عن الإفراط والتفريط في الأخلاق والخلال.

قال علي كرم: "وجهه اهدنا الصراط المستقيم" اي ثبتنا على الطريق الذي لا اعوجاج فيه، وهو الاسلام، وهو الطريق المستقيم، والمنهج القويم، "**صراط الذي أنعمت عليهم**" أي منازل الذين انعمت عليهم بالمعرفة والمحبة وحسن الأدب في الخدمة "غير المغضوب عليهم" أي غير المطرودين من باب العبودية وغير الضالين أي المفلسين.

وقد ورد تفسير المغضوب عليهم باليهود، وهو مأخوذ من غير ما آية كقوله تعالى فيهم، "**من لعنه الله وغضب عليه**"، وكقوله: "**باءوا بغضب على غضب**" كما تفسير الضالين بالنصارى وهو مأخوذ من قوله تعالى: "**قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل**".

ويأخذ بقسط من الغضب من عاند مراد الحق منه، ولم يعط الادب حقه، بحفظ العبودية والحرمة، بأن سلك مسلك التحكم عن الله، ولم يستسلم للحكم منه والقسمة، كما يأخذ بحظ وقسط من الظلال، كل متضال غير واقف على حد العدل والإعتدال في الأمور، وذلك يخرجه عن الطريق القويم المتصل بالمعرفة.

وبالجملة فمن عاند الحق تعالى في حكمه، ورام خلاف وضعه، فقد عدل عن صراط عبوديته لربه، وصار مغضوبا عليه، ذليلا لا ينفذ له مراد، فهو في قهر ودحض أبدا، ومن لم يقف عندما شرع الله تعالى وجاوز الحد، ضل عن سبيل المعرفة له، وسبح في أودية الجهالة والهوا، كما قال تعالى: "**لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين**"، قيل فالظلم أوجب الضلال وسبق الشقاء قضا بالزوال عن محل الانيس، ومنازل الوصال ومن سلم كلا الأمرين، كان على الصراط القويم.

فاتصل بالله وبمعرفة الله، واجتني كنزا لا يبيد من الله، حققنا الله بذلك، وجعلنا من أهل بفضله ورحمته، فإذا قد انحصر الكمال في القصد والاقتصاد، وذلك هو الصراط الاقوم، والعدول عنه إما تفريط أو إفراط وكلاهما مرد ومبعد عن الحق، وقد قسم الله تعالى الخلائق على ذلك، إظهاراً لفضله ولعدله، ليدل على كماله في وصفه، واختياره في ملكه، كما قال في أهل القبضتين، هؤلاء للجنة ولا ابالي، أي بما كان من أعمالهم، كما نبه على ذلك بقوله: "يتقبل عنهم احسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم، وكما ورد في أهل بدر، اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، وقال في أهل قبضة العدل، هؤلاء للنار ولا ابالي، وقد ورد أن الرجل ليعمل بعمل أهل النار، فيدخل النار، فرفع الأمر آخرا الى حكمه وقضائه السابق أولا، ولكن كل ميسر لما خلق له فاهل السعادة يسيرون لعمل السعادة، وأهل الشقاء يسيرون لعمل الشقاوة، ولو شئنا لأتينا كل نفس هواها، ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين.

والله يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد.

هذا ما انتهى إليه القصد من الإشارة لبعض ما سنح في تفسير الفاتحة، على وجه التنبيه والاختصار، من غير إرادة الإكثار، والحمد لله حق حمده، وصلى الله على سيدنا محمد خيرته من خلقه، وعلى آله الأطهار، وصحابته الأخيار، وسلم عليهم وعلى التابعين لهم بإحسان على مر الدهور والأعصار، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

هـ بحمد الله وحسن عونه.

خ ع: د2743.

في ظلال الحديث

الحديث الرابع والأربعون: ثواب الصوم الخالص لله تعالى

نص الحديث:

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله (ص): "من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه" رواه البخاري ومسلم.

■ إعداد الأستاذ: عبد الله بوغوتة

تخريج الحديث:

هذا الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان، باب صوم رمضان احتسابا من الإيمان،ج1ص22ح38، قال: حدثنا محمد بن سلام قال أخبرنا محمد بن فضيل قال حدثنا يحيى بن سعيد عن أبي سلمة عن أبي هريرة وذكر الحديث، وأخرجه في كتاب الصوم، باب من صام إيمانا واحتسابا ونية (ج2ص672ح1802)، وفي كتاب صلاة التراويح، فضل ليلة القدر(ج2ص709ح1910)ومسلم في صحيحه، في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في قيام رمضان والتراويح(ج1ص523ح760)، والترمذي في سننه،في كتاب الصوم، باب ما جاء في فضل شهر رمضان ح619، والنسائي في سننه، في كتاب الصيام، باب ثواب من قام رمضان وصامه إيمانا واحتسابا(4/156ح2202و4/157ح2203و4/158ح2204و4/159ح2210)وأبي داود في سننه، في كتاب الصلاة، باب في قيام شهر رمضان(2/49ح1372)وابن ماجة في السنن، كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في قيام شهر رمضان (1/526ح1641)وفي كتاب الصيام، باب ما جاء في فضل شهر رمضان رقم:1856، واحمد في المسند، باقي مسند المكثرين، مسند أبي هريرة(2/241ح7278)و(2/385ح8989)وابن حبان في صحيحه(8/218ح3432) وابن خزيمة في صحيحه(3/334ح2199) والبيهقي في السنن الكبرى (4/304ح8289)...

سند الحديث:

❖ محمد بن سلام: هو أبو عبد الله محمد بن سلام بن الفرج السلمي مولاهم البخاري البيكندي الكبير محدث ما وراء النهر، من طبقة كبار تبع الاتباع، قال عبيد بن شريح: كان محمد بن سلام من كبار المحدثين وله حديث كثير ورحلة ومصنفات في كل باب من العلم، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال بن أبي حاتم سألت أبي عنه فقال ثقة صدوق. ولد في السنة التي مات فيها الثوري وقال البخاري وغيره مات في صفر سنة سبع وعشرين ومائتين(227هـ).

❖ محمد بن فضيل: هو أبو عبد الرحمن محمد بن فضيل بن غزوان المحدث الحافظ الكوفي مولى بني ضبة مصنف كتاب الزهد وكتاب الدعاء وغير ذلك، من الطبقة الصغرى من الأتباع، وثقه يحيى بن معين وقال أحمد حسن الحديث شيعي، قال يحيى بن معين: ثقة، وقال: أبو زرعة: محمد بن فضيل صدوق من أهل العلم، مات سنة خمس وتسعين ومائة وقيل سنة أربع.

❖ يحيى بن سعيد: هو أبو سعيد، يحيى بن سعيد بن قيس الأنصاري النجاري المدني، شيخ الإسلام، تابعي ثقة وكان له فقه ولي القضاء وكان رجلا صالحا وجده قيس بن فهد من أصحاب النبي (ص)، قال الثوري كان من الحفاظ وقال أبو حاتم ثقة يوازي الزهري وقال بن المديني له نحو من ثلاثمائة حديث وقال العجلي ثقة فقيه رجل صالح، مات بالهاشمية في سنة ثلاث وأربعين ومائة.(143هـ).

❖ أبو سلمة: هو عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف أبو سلمة القرشي ثم الزهري المديني سمع أبا هريرة وابن عباس وابن عمر (ض). قال: الزهري كان أبو سلمة يماري ابن عباس فحرم من ذلك علما كثيرا قال مصعب يقال إن أبا سلمة بن عبد الرحمن أرضعته أم كلثوم بنت أبي بكر وكان يلج على عائشة. وهو من الطبقة الوسطى من التابعين، توفي بالمدينة سنة:94هـ.

أهمية الحديث:

هذا حديث عظيم يحمل في ثناياه، بشرى عظيمة للصائمين المخلصين المحتسبين، بالثواب الجزيل، والثناء الجميل، حيث أن رب العزة على لسان نبيه المصطفى الكريم، يبشر هذا الصنف من المؤمنين، بمغفرة ماتقدم من الذنوب.

مفردات الحديث:

"إيمانا": أي مؤمنا بماورد فيه من الثواب.

"احتسابا":أي مخلصا في صيامه قاصدا به وجه الله تعالى.

المعنى العام

1. معنى الصيام: الصيام لغة هو الإمساك والكف عن الشيء،قال تعالى: (إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا)سورة مريم/الآية:26. والمراد به الامتناع عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس مع النية.

والصيام ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، أما الكتاب قوله تعالى: (يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام، كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) أي فرض عليكم كما فرض على الذين من قبلكم، أما السنة فقوله (ص): "بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا (متفق عليه)، والإجماع منعقد على ذلك من لدن رسول الله (ص) إلى قيام الساعة ومنكره كافر، يقول الذهبي رحمه الله : "الذي يفطر في رمضان من غير عذر شر من الزاني ومدمن الخمر، بل ويشك في إسلامه".

2. الإسلام قول وعمل: إن الإسلام ليس دينا كهنوتيا، يعتمد على جانب من الإنسان دون آخر، بل الإسلام، دين يشمل كل مناحي الحياة، ومجالاتها الحيوية، فيجعل من المؤمن رجلا يصدق عمله قوله، إنه لايقبل من المسلم مجرد أقوال وادعاءات، أو أعمال مجردة عن التوجه القلبي، والإيمان بفرضيتها من لدن رب العالمين، ولذا نجد الحبيب صلوات ربي وسلامه عليه يركز على جانبي الإيمان والاحتساب، فالذي يصوم غير معتقد بأنه يصوم طاعة لربه، مؤمنا بثوابه، لايقبل الله منه صومه، والذي يصوم لغير الله، من أجل الناس، أو خوفا منهم، لايقبل الله صومه، إذن لابد أن يتحقق في الصوم ركنان أساسيان، هما الإيمان بفرضيته وثوابه، والإخلاص لله تعالى كما هو الشأن في سائر الأعمال والعبادات.والصيام المقصود، هو كما وضحه رسول الله (ص) بقوله: " من صام رمضان وعرف حدوده وتحفظ مما كان ينبغي له أن يتحفظ فيه كفر ما كان قبله" عن أبي سعد الخدري.

3. فضل الصيام وثوابه: إن فضل الصيام عظيم ومما ورد في ذلك من الأحاديث الصحيحة غير الذي بين أيدينا والذي يبين فيه رسول الله، أن ثوابه عظيم، مغفرة لما تقدم من الذنوب والمقصود بها الصغائر، وما كان بين المرء وربه عموما، كما ورد عن علماء الأمة، وأما فضائله فهي عديدة منها: أن الصيام قد اختصه الله لنفسه وأنه يجزي به فيضاعف أجر صاحبه بلا حساب لحديث: "إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به" (البخاري /فتح الباري، رقم 1904)، وأن الصوم لاعدل له (النسائي 4/165)، وأن دعوة الصائم لاترد (رواه البيهقي3/345 وهو في السلسلة الصحيحة 197)، وأن للصائم فرحتين إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقي ربه فرح بصومه(رواه مسلم 2/807)، وأن الصيام يشفع للعبد يوم القيامة يقول: أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه" (رواه أحمد 2/ 174 وحسن الهيثمي إسناده: المجمع 3/181)، وأن "خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك" (مسلم2/807)، وأن "الصوم جنة وحصن حصين من النار"(رواه احمد2/402 وهو في صحيح الجامع 3880)، وأن "من صام يوما في سبيل الله باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفا" (رواه مسلم 2/808)، وأن "من صام يوما ابتغاءوجه الله ختم له به دخل الجنة" (رواه أحمد 5/391 وهو صحيح)، وأن في الجنة بابا "يقال له الريان يدخل منه الصائمون لايدخل منه أحد غيرهم فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد" (البخاري/ فتح الباري رقم 1797).

4. من فوائد الصيام: في الصيام حكم وفوائد كثيرة مدارها على التقوى التي ذكرها الله عز وجل في قوله: (لعلكم تتقون)، وبيان ذلك: أن النفس إذا امتنعت عن الحلال طمعا في مرضاة الله تعالى وخوفا من عقابه فأولى أن تنقاد للامتناع عن الحرام.

وأن الإنسان إذا جاع بطنه اندفع جوع كثير من حواسه، فإذا شبع بطنه جاع لسانه وعينه ويده وفرجه، فالصيام يؤدي إلى قهر الشيطان وكسر الشهوة وحفظ الجوارح.

وأن الصائم إذا ذاق ألم الجوع أحس بحال الفقراء، فرحمهم وأعطاهم مايسد جوعتهم، إذ ليس الخبر كالمعاينة، ولايعلم الراكب مشقة الراجل إلا إذا ترجل.

وأن الصيام يربي الإرادة على اجتناب الهوى والبعد عن المعاصي، إذ فيه قهر للطبع وفطم للنفس عن مألوفاتها. وفيه كذلك اعتياد النظام ودقة المواعيد مما يعالج فوضى الكثيرين لو عقلوا.

وفي الصيام إعلان لمبدأ وحدة المسلمين ، فتصوم الأمة وتفطر في شهر واحد.

وفيه فرصة عظيمة للدعاة إلى الله سبحانه فهذه أفئدة الناس تهوي إلى المساجد ومنهم من يدخله لأول مرة ومنهم من لم يدخله منذ زمن بعيد وهم في حال رقة نادرة، فلابد من انتهاز الفرصة بالمواعظ المرققة والدروس المناسبة والكلمات النافعة مع التعاون على البر والتقوى. وعلى الداعية.

أفكار الحديث:

1. الإيمان قول وعمل.
2. تفاضل الناس بأعمالهم.
3. تكفير الذنوب بالصوم.
4. الأعمال بالنية.
5. غفران الله ورحمته.

فوائد الحديث:

بيان ثواب الصوم الخالص لله تعالى وأنه سبب في غفران الذنوب الصغيرة المتعلقة بحق الله عزوجل.

حديث المنابر

عبر وعظات ومعان من يوم الفرقان يوم التقى الجمعان

إعداد الاستاذ: أبو يس عبد الرحمن

الخطبة الاولى

الحمد لله رب العالمين.. الحمد لله الذي أكمل للزمان دورة من دوراته . وهو رب الزمان والمكان . فجعل بقدرته التي لايحيط بها زمان، ولايحتويها مكان، يوم جمعتنا هذا المبارك الكريم يوافق في تقويمنا الهجري المجيد اليوم السابع عشر من رمضان، الذي قال فيه رب العزة عز وجل وعلا وتبارك في كتابه الحكيم العزيز: "واعلموا أنما غنتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان، والله على كل شيء قدير" وأشهد أنه الله لاإله إلا هو وحده لاشريك له، هو القدير.. يقضي أمره الذي كان مفعولا.. في أي زمان أو مكان يشاء، ولاراد لأمره وقضائه وحكمه، إنه عليم بذات الصدور وإليه ترجع الأمور في كل حين وآن، وكل ظرف زمان ومكان.. وهو مع الصابرين بنعمته، وهو محيط بما يعمل الكافرون والمنافقون يوالي عليهم من إملائه وإمهاله حتى يأخذهم أخذ عزيز مقتدر بنقمته.. وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا رسول الله، إمام المتقين، وقائد الغر المحجلين،وأول المجاهدين يوم الفرقان يوم التقى الجمعان، وفي كل الأحيان.. صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وبارك.. قاد المجاهدين الصابرين من الأنصار والمهاجرين إلى النصر المبين في مثل هذا اليوم السابع عشر من رمضان.. وكان يوم جمعة كيومنا المبارك هذا . من السنة الثانية للهجرة، الموافق في التقويم الميلادي لليوم الثاني عشر من مارس في سنة أربع وعشرين وستمائة.. صلى الله وآله وصحبه وسلم ومجد وكرم وعظم إلى يوم الدين... إنه يوم فرق الله فيه بين الحق والباطل، بين الكفرة والإيمان، بين الهدى والضلال... يوم أغر قام فيه المؤمنون الأبرار الصادقون من رجال الله ليقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونهم ولايعتدوا.. يوم أراد الله فيه أن يحقق وعده، وينصر جنده.. يوم أراد فيه رسول الله ومن معه من المجاهدين والأنصار أن يحققوا إذن الله لهم بالقتال، بعد أن تمادت قوى الظلم والكفر والبغي والطغيان في إلحاق الظلم بهم، موقنين بأن الله تعالى على نصرهم لقدير بعد أن أخرجوا من ديارهم وأموالهم بغير حق إلا أن يقولوا: ربنا الله، وأوذوا بأشنع وأبشع ضروب العذاب وصنوفه وأشد أنواعه، وأقسى وأقطع ألوانه.. في هذا اليوم التقت فئة قليلة مؤمنة تقاتل في سبيل الله، بفئة كافرة ضالة تعتز بقوتها وعددها وعددها.ونصر الله تعالى الفئة القليلة المؤمنة.. الفئة التي أمدها جل وعز وعلا بالملائكة مردفين منزلين مسومين.. الفئة التي أنعم الله على كل فرد من أفرادها بالبشرى وطمأنينة القلب، والنصر المؤزر من عنده، لأنه عزيز حكيم.فئة كل فرد فيها جميع خلال الإيمان وحققها في نفسه.. وخلال الإيمان هذه رواها لنا الشهيد ابن الشهيد ابن أول شهيدة في الإسلام أبو اليقظان عمار بن ياسر، وأمه سمية . رضي الله عنه وعن أبيه وأمه يقول: سمعته صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم يقول(أي عن خلال الإيمان هذه): "الإنفاق من الإقتار، والإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم".

لقد بدأ خروج النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم لهذه الغزوة المباركة وأصحابه . رضوان الله عليهم. من المدينة المنورة في اليوم الثامن من رمضان، الخامس من مارس، وعددهم ثلاثمائة وثلاثة عشر من المهاجرين والأنصار.. بينما كان عدد أعدائهم أكثر من ثلاثة أضعافهم.. ومن دلائل عنجهية الكفار وعتوهم وطغيانهم وبغيهم ظاهريا، وذلهم وخنوعهم وتخاذلهم باطنيا مواقف وقفها رأسهم الفاجر أبو جهل عمرو بن هشام، فقد رأت عاتكة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم رؤيا حق. وهي في مكة لم تهاجر بعد . فتوجست وتخوفت منها شرا ومصيبة يحلان بقريش فحكتها لأخيها العباس بن عبد المطلب.. فلما سمعها منها حكاها لأحد خلصائه رغبة في تأويلها.. فلما فشت بين الناس، جاء أبو جهل يسخر من العباس وأخته وزعم أنها تدعي النبوة كابن أخيها.. وأن بني عبد المطلب أكذب بيت في العرب.. فهم به العباس رضي الله عنه ليؤذيه... فإذا بالمتطاول على بيت النبوة يطأطئ رأسه ويستكين ذليلا ويعتذر خوفا لاحياء.. وينصرف مذموما مدحورا.. وفي هذا الحين كان أحد رؤوس الكفر والفتنة الأخرى أمية بن خلف خارجا مع ضيف له من سادة الأنصار المجاهدين الشهداء سيدنا سعد بن معاذ ليطوفا بالكعبة وكانا صديقين، لأن الاسلام لايمنع المعاملة بالحسنى والقسط والإنصاف بين الناس على اختلاف أديانهم، فلقيهما أبو جهل، فإذا به يواجه سيدنا سعدا بغلظة وقسوة وعنف وجهل:"أتطوف بالكعبة آمنا وقد آويتم محمدا وأصحابه وزعمتم أنكم تنصرونه، أما والله لولا أنك مع أبي صفوان (أي أمية بن خلف) لما رجعت إلى أهلك سالما... فرد عليه سيدنا سعد بن معاذ بعزة المؤمن الذي لايخشى إلا الله: أما والله لئن منعتني الطواف، لأمنعن عنك طريق تجارتك إلى الشام... وأما أمية بن خلف هذا فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم يقول بأن قتله سيكون قريبا على أيدي المسلمين.

فأما أبو جهل فاستخذى وجبن مرتعشا خوفا على أمواله وتجارته.. وأما أمية بن خلف فصاح مرتعبا مرتعدا: والله ماكذب محمد أبدا.. وعاد إلى أهله والخوف يوهي أوصاله ليحكي لأهله إنذار الصادق المصدوق الذي لاينطق عن الهوى، فأكدوا له أن ماأقسم عليه من عدم كذب رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم قط حق مجرب يعلمه القاصي والداني من أهل مكة.. فتأكد أن موته قريب على أيدي المسلمين فاسودت الدنيا في عينيه.. وقرر ألا يخرج من مكة لأي سبب من تجارة أو غيرها..

ومن مواقف العنجهية والغرور والكبر الفاجر أن أبا جهل لما علم بخروج رسول الله وصحبه الكرام إلى بدر جمع سادة قريش وشيوخها، وأخذ يحمسهم لقتال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.. فبماذا كان يخطب فيهم ويدعوهم إلى القتال؟ لقد كان يدعوهم إلى حرب الله ورسوله، ومن أقواله: والله لاترجع حتى ترد بدرا، فنقيم عليه ثلاثا، فننحر الجزر، ونطعم الطعام، ونسقي الخمر، وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا، فلا يزالون يهابوننا أبدا.. هذه بعض مواقف الكفر.. وهي متشابهة في كل زمان ومكان.. بل يمكن أن نقول عنها متماثلة... همهم جميعا في بطونهم وفروجهم.. وفي متاع حائل زائل من متاع الدنيا، لا ترتفع همهم إلى سمو روحي، ولا إلى معنى علي، ولا إلى قيم خلقية كريمة.. فماذا عن قيم الإسلام التي يمكن أن نجدها مجسدة في ثنايا مواقف رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وصحبه الكرام كلهم خلال كل لحظات هذه الغزوة المباركة؟ إنها لاتحصى ولاتستقصى، ومايذكر منها لاينسى، والمقام لايتسع إلا لذكر بعضها عن المثل الأعلى للإنسانية كلها صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: . منها أنه صلى الله عليه وآله وصحبه بات الليلة التي كانت في صبيحتها وقعة بدر قائما يصلي ويبكي حتى أصبح، ويكثر في سجوده أن يقول: "ياحي ياقيوم" . وأشار عليه أحد الأنصار رضوان الله عليهم جميعا هو الحباب بن المنذر بن الجموح بأن يغير مواقع المسلمين من أرض المعركة، طبقا لما يقتضيه الرأي والحرب والمكيدة . إن لم يكن الموقع الأول وحيا من الله . فعمل بمشورته . قائلا له مشجعا مستحسنا: "لقد أشرت بالرأي".. بل نزل ملك خاص من عند الله عز وجل يؤيد هذا الرأي الوجيه السديد المهذب المؤدب، وقال: يامحمد إن الله يقرئك السلام. فأجاب رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم بأدب العبد الخاشع لربه: "هو السلام ومنه السلام وإليه السلام"فقال الملك: إن الله يقول لك: إن الأمر هو ماأمرك به الحباب بن المنذر".

. وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم يعرف حقيقة موقف الكافرين المشركين وعاقبة أمرهم، كما كان موقنا بحقيقة أمره مع صحبه الكرام وما أعده الله تعالى لهم من الحسنيين.. ولهذا فإنه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم لما رآهم مقبلين تضرع إلى الله عز وجل: "اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها، تحادك، وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني، اللهم أحنهم الغداة".

فاللهم ياسميع قريب إن أعداءك من المغضوب عليهم والضالين ومن لف لفهم قد تداعوا بخيلائهم وفخرهم على الإسلام والمسلمين يحادونك ويكيدونك اللهم نصرك الذي وعدت به عبادك الصالحين، اللهم أحنهم عاجلا قريبا في غداة مباركة والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على الحبيب المصطفى الأمين سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين.

أيها المؤمنون البررة، من المواقف الخالدة التي لاتنسى ولا ينبغي أن تنسى من ذاكرة كل مؤمن حق ماسأرويه لكم:"وقف رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم يوم بدر يسوي ويعدل صفوف أصحابه وفي يده قدح يعد لهم به، فمر بسواد بن غزية رضي الله عنه وهو مستنتل من الصف (خارج عنه) فطعن في بطنه بالقدح، وقال: "استو ياسواد" فقال: يارسول الله أوجعتني، وقد بعثك الله بالحق والعدل، فأقدني (خذلي حقي منك)، فكشف رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم عن بطنه.فقال:واستعد"فاعتنقه سواد رضي الله عنه وقبل بطنه فسأله: "ماحملك على هذا ياسواد؟"فقال: يارسول الله، حضر ماترى (من الحرب) فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك. فدعا له الحبيب صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم بخير" فاللهم اجعل حبنا لك ولحبيبك المصطفى صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أحب إلينا من أنفسنا ومن الماء البارد على الظمأ في اليوم القائظ الحار... وأثبنا على ذلك الثواب الجزيل بأن نرد عليه الحوض فيسقينا شربة لاتعرف بعدها الظمأ أبدا.. وإننا ظامئون إلى النصر والعزة فانصرنا وأعزنا عاجلا قريبا وأنت العزيز القريب المجيب.

رسالة وإشارة:

على من يجب القضاء والكفارة في رمضان؟

إعداد الأستاذ: عبد الله بن الطيبي كديرة

أخي الحبيب، السلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد ، فإنه يثلج الصدر، ويطمئن القلب، ويرضي النفس، أن نرى بيننا في بلدنا هذا الأمن الأمين بإذن الله تعالى كثرة من يحرصون على إقامة شعائر دينهم، وتطبيق شرائعه، عن علم وهدى وبينة، قائمين على الحق، ظاهرين عليه وبه، إلى قيام الساعة، لايضرهم من خالفهم.. وأنت منهم والحمد لله بعلمك وعملك... إلا أنني أود أن أذكرك. والذكرى تنفع المؤمنين. وأحذرك من الخلاف فهو شر.. وأعيذك بالله من أن تكون باذر خلاف أوزارع شقاق في بلد ميزه الله عن غيره من البلاد بوحدة الدين، وزاده تميزا . فضلا منه ونعمة. بوحدة المذهب. وقد ثبت في الصحيحين أن سيدنا عثمان رضي الله عنه وأرضاه صلى بالناس في منى أربع ركعات، فقيل ذلك لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فاسترجع، ثم قال: صليت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم بمنى ركعتين، وصليت مع أبي بكر الصديق بمنى ركعتين، وصليت مع عمر بن الخطاب بمنى ركعتين، فليت حظي من أربع ركعات ركعتان متقبلتان" وهذا الحديث مروي في سنن أبي داود بزيادة عن الأعمش، قال: فحدثني معاوية بن قرة عن أشياخه: أن عبد الله صلى أربعا، فقيل له: عبت على عثمان ثم صليت أربعا؟ قال : "الخلاف شر".

وأعقب البيهقي هذه الزيادة عن الأعمش بقول ابن مسعود: "إني أكره الخلاف".

وأكد البيهقي رحمه الله أن هذا مروي بإسناد موصول، فذكره، وفيه: أنهم قالوا لابن مسعود رضي الله عنه: ألم تحدثنا أن النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم صلى ركعتين؟ فقال: بلى، وأنا أحدثكموه الآن، ولكن عثمان كان إماما، فما أخالفه، والخلاف شر".

وقد أجمع السادة المالكية في كل مكان وزمان على وجوب الكفارة مع القضاء على كل من تعمد الإفطار في رمضان بأكل أو شرب... ومعهم جمهور عريض من سادة السلف الصالح لهذه الأمة... فكيف يسوغ لمثلك من أهل العلم والفضل الذين يتعلمون الهدي كما يتعلمون العلم أن يفتي (برأي) يخالف ما أجمع عليه الناس في بلده؟!

أنت أيها العزيز تعلم قبل غيرك قول إمامنا مالك رضوان الله عليه لأبي جعفر المنصور حين أراد حمل الناس في الأمصار الإسلامية على الموطأ: "إن ذهبت تحول الناس إلى مالا يعرفون رأوا ذلك كفرا" وأنا على يقين أيها الحبيب من أنك لاتر د المذهب، وإنما أنت تتأول، وعلى هذا كان أدب السلف الصالح في اختلافهم العلمي... وأنت على هديهم تسير وتمضي إن شاء الله.. وقد ارتأيت أن من أفطر بأكل أو شرب في رمضان متعمدا ليس عليه إلا القضاء بلا كفارة... والذي عليه الإجماع منعقد منذ عهد الإمام مالك إلى يوم الناس هذا في بلادنا أنه مستوجب للقضاء والكفارة.. وهذه بعض الشواهد من أقوال أئمة علماء المذهب:

أ. يقول الحافظ ابن عبد البر في كتابه (الكافي): "من تعمد الأكل في نهار رمضان مفطرا . متأولا مجتهدا . فعليه القضاء لا الكفارة.." فلم الاقتصار على إبداء الرأي الفقهي في إيجاب الكفارة على (الجماع المتعمد) دون الأكل والشرب!؟ ولم الخلاف فيما لا خلاف فيه ولايجوز فيه الخلاف!؟ ألا ترى أن عذر التأويل والاجتهاد يدفع وجوب الكفارة!؟ فلم الخلاف ولامجال له!؟ واليسر غاية تدرك في هذا الدين في كل حين وعلى كل حال.. فهذا الإمام ابن الماجشون يؤكد إجماع الأمة على أن "من ذرعه القيء في نهار رمضان وغيره فلا قضاء عليه، إذا علم أنه لم يرجع إلى حلقه منه شيء بعد وصوله إلى فمه". ولكن لابد من أن ينال المستهتر المنتهك لحرمة الشهر المبارك جزاءه الذي يستحقه بما شرع الله لاحسب هوى أحد أو رأيه... فيثبت ابن الماجشون رحمه الله أن : "من استقاء عمدا من غير مرض متعمدا فعليه القضاء والكفارة..." إنه التعمد والجرأة على دين الله من غير عذر أو مبرر.. في الإفطار، بأكل أؤ شرب أو جماع . فهل هناك عاقل يرى لمن هذا شأنه مجرد القضاء دون الكفارة!؟ ليمضي في غيه يصوم أول النهار ويفطر آخره على هواه!؟ فاتنا مفتونا!؟ متعمدا غير متأول!؟ نعم إذا كان المفطر مريضا يشق عليه معه الصوم أو يخاف زيادة المرض، أو تأخر البرء فعليه القضاء دون الكفارة..وكذلك إذا كان إفطاره بتأويل.. إن كان التأويل قريبا، وهو ما يقع سببه، فلا كفارة عليه، لأنه معذور باستناده إلى سبب واضح مقبول معقول.. وإنما الكفارة على من أفطر متعمدا بأكل أو شرب أو جماع من غير خلاف، إن كان على سبيل الانتهاك أو التأويل البعيد.. وارفع صوتي قائلا: "بغير خلاف" فهذا (سعيد حوى) رحمه الله تعالى في سفره القيم (الأساس في السنة وفقهها . المجلد الثالث: العبادات في الإسلام . ص:2607. الكفارة وموجبها) يختار ما اتفق عليه السادة الحنفية والسادة المالكية.فعرف سبب الكفارة بأنه : "إفساد صوم رمضان خاصة عمدا قصدا، لانتهاك حرمة الصوم من غير مبيح للفطر.."، ثم أكد مستطردا: "والكفارة واجبة بالفطر في رمضان فقط دون غيره إن أفطر فيه . لدى الحنفية والمالكية. منتهكا لحرمته، أي غير مبال بها، بأن تعمدها اختيارا بلا تأويل قريب . على حد تعبير المالكية. وكان الفطر بجماع ونحوه وبأكل ونحوه عند الحنفية والمالكية..."... والرأي الآخر لدى السادة الحنابلة والسادة الشافعية رضي الله عنهم لايمكن أن يقر الاستهتار بأحد أركان الدين وانتهاك حرمة شهر كريم... فإن لم يوجبا (الكفارة) على متعمد الأكل والشرب. بعكس من اختان نفسه فأقدم على الجماع . فإن الشافعي رحمه الله تعالى أوجب على الأكل العقوبة لانتهاك حرمة الشهر... وأما أحمد رحمه الله تعالى فقد اعتبر من أكل أو شرب في نهار رمضان متعمدا قاصدا، أنه قد أتى كبيرة من الكبائر..وكيف لايكون هذا حكمهم، وقد علموا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم توعد المفطر المتعمد عموما: "من أفطر يوما من رمضان في غير رخصة رخصها الله له، لم يقض عنه صيام الدهر كله وإن صامه" .(رواه أبو داود وابن ماجة والترمذي).. وقد رواه البخاري رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه : "من أفطر يوما من رمضان من غير عذر ولا مرض لم يقضه صوم الدهر وإن صامه" ولاأظن أن هناك أحدا من المسلمين يرى لأحد عذرا في جماع من مرض!!! وفي إحدى مرائي رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم الحق: "....ثم انطلق بي فإذا أنا بقوم معلقين بعراقيبهم، مشققة أشداقهم، تسيل أشداقهم دما . قلت: من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يفطرون قبل تحلة صومهم..." ولا أظن أن تشقق الأشداق وسيلانها دما يناسب عقابا إلا لمن أفطر بأكل أوشرب...وإذا كان من تأويل مختلف فإنما هو اجتهاد اختلاف لا خلاف...

وهذا الإمام ابن رشد رحمه الله في (بداية المجتهد ونهاية المقتصد) يتساءل: "هل يجب الكفارة بالإفطار بالأكل والشرب متعمدا؟" وأجاب بأن: مالكا وأصحابه وأبا حنيفة وأصحابه والثوري وجماعة ذهبوا إلى أن من أفطر متعمدا بأكل أو شرب أن عليه القضاء والكفارة(...)، ثم أكد قائلا: فمن رأى أن شبههما واحد، وهو انتهاك حرمة الصوم جعل حكمهما واحدا". وهل هناك من فرق بين من ينتهك حرمة الشهر المبارك بأكل وشرب وبين من انتهكه بجماع... وهذا لاينفي التيسير عند كل مجتهدي الأمة سلفها وخلفها... فلا كفارة على من أكل أو شرب مرهقا بالجوع والعطش، مما يثبت أنه "تجب الكفارة بالأكل والشرب عمدا من غير إرهاق جوع وعطش... وفي معناه كل مايصل إلى الحلق من الفم خاصة"(ص108 . 109 من القوانين الفقهية لابن جزي، طبعة دار المعرفة) كما اشترط صاحب (الخلاصة الفقهية...) على وجوب الكفارة مع القضاء على من أوصل مفطرا من مائع أو غيره للمعدة من خصوص القم: العمد والاختيار وانتهاك حرمة الشهر والعلم بالحرمة وان يكون ذلك في خصوص صوم رمضان" (ص:197.198. دار المعرفة) وفي يقيني أن هذه الشروط:1. وصول المفطر إلى المعدة. 2. عن طريق الفم . 3. العمد .4. الاختيار. 5. انتهاك حرمة الشهر. 6. العلم بالحرمة. 7. في خصوص صوم شهر رمضان، هي أسباب كافية . إذا اجتمعت . لوجوب القضاء مع الكفارة على من أكل أو شرب في رمضان... ومن اختلف مجتهدا متأولا، عليه أن يثبت ماتوجه إليه بالدليل الأقوى.. وإلا كان مخالفا لامختلفا.. وعلى من يرد عليه أن يعذره بما أورده الشيخ الشنقيطي رحمه الله في شرحه على المرشد المعين لابن عاشر رحمه الله بآخر ماأورده ميارة من شروط، حين أكد على وجوب الكفارة مع القضاء على من عمد وقصد في رمضان . أي مع كونه مختارا . إلى أكل فم أو شرب، أو لإخراج مني بجماع أو بقبلة أو مباشرة، بل ولو بفكر، أو لرفض مابني عليه الصيام وهو النية، حال كونه متعمدا، خاليا من التأويل القريب، يريد وعن الجهل (...)وقد شرط ميارة رحمه الله ضمن شروط الكفارة السلامة من الجهل احترازا من الفطر عمدا وجهلا فإنه لاكفارة عليه..."

وقد رجح الإمام القرطبي رحمه الله تعالى عند تفسيره لقوله تعالى: "علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم".(سورة البقرة:186)الجمع في استحقاق الكفارة بين الجماع والأكل، وأورد قول الإمام مالك: من أفطر في رمضان عامدا بأكل أو شرب أو جماع فعليه القضاء والكفارة.. كما أورد الحديث الذي رواه مالك في موطئه، ومسلم في صحيحه عن أبي هريرة: أن رجلا أفطر في رمضان فأمره رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أن يكفر بعتق رقبة أو صيام شهرين متتابعين أو إطعام ستين مسكينا... الحديث وبهذا قال الشعبي... وأما الحديث الذي ورد فيه أن رجلا جاء يقول: هلكت يارسول الله. قال: وما أهلكك؟ قال: وقعت على امراتي في رمضان... الحديث... وأخرجه مسلم رحمه الله... وحملوا هذه القضية على الأولى فقالوا: هي واحدة. وهذا غير مسلم به، بل هما قضيتان مختلفتان لأن مساقهما مختلف، وقد علق الكفارة على من أفطر مجردا عن القيود فلزم مطلقا، وبهذا قال مالك وأصحابه والأوزاعي وإسحاق وأبو ثور والطبري وابن المنذر وروي عن عطاء في رواية، وعن الحسن وعن الزهري... ويلزم الشافعي القول به، فإنه يقول: ترك الاستفصال مع تعارض الأحوال يدل على عموم الحكم. وأوجب الشافعي عليه مع القضاء العقوبة لانتهاك حرمة الشهر..."

أخي الحبيب.. إني على يقين من أن علمك وأدبك يحولان بينك وبين أن يكون الاختلاف لديك خلافا، وإنما هو اجتهاد مأجور منك ومشروع من طالب علم دائم متأدب بآدابه، المتعارف عليها عند أهل العلم والدين، من عدم الغلو والبدعة والضلال، وتقرير مسائل الخلاف بكل ماعرفت به وعرف عنها، بكل أدلتها الموافقة والمخالفة... والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل... وأختم بأن أورد لك قولة للإمام السهيلي في (روضه الأنف): "كل مجتهد وافق اجتهاده وجها من التأويل، وكان عنده من أدوات الاجتهاد مايترفع به عن حضيض التقليد إلى هضبة النظر: فهو مصيب في اجتهاده، مصيب للحكم الذي تعبد به"والأهم عندي . ولاشك أنه كذلك عندك . هو أن ألا نشتت أمر الناس بالخروج من تقليد إلى تقليد.. فذاك الشر كل الشر... أعاذنا الله جميعا منه إلا إذا كان ذلك على سبيل ماقال الإمام علي رضي الله عنه: "إن الحق لايعرف بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله... ومالك رحمه . عالم أهل المدينة . من أهل الحق... وخصوصا في هذه المسألة .. فهو أولى بالاتباع... والله يتولى هداك.

"استضعفوه فوصفوه..."

إعداد الاستاذ: عبد القادر العافية

يحكى أن أبا العلاء المعري الشاعر المشهور، والفيلسوف المعروف، مرض يوما، فأتوه بطبيب، فوصف له مرق الدجاج. والمتواتر عنه أنه كان نباتيا لا يأكل اللحم. فقال لخادمه: ناولني فروجا، فناوله إياه، فأخذ يتحسسه، والفروج يرتجف بين يديه، فقال: استضعفوه فوصفوه، فعلا وصفوا شبل أسد؟!

ويعيش العالم العربي والاسلامي هاجس حملة الولايات المتحدة على العراق، ويسمع ويرى جذبة الرئيس بوش على صدام وإلصاق تهمة تطويرسلاح الدمار الشامل بالحكومة العراقية، وكأن أسلحة الدمار الشامل محرمة تحريما دوليا، ولاتمتلكها أية دولة؟!

ومعلوم أن كثيرا من الدول تتوفر على أسلحة الدمار الشامل، وفي طليعتها الولايات المتحدة نفسها، وبريطانيا وإسرائيل، وروسيا، والصين، والهند، وكوريا الشمالية وغيرها من الدول، ولعل العراق أبعد مايكون عن قدرة تطوير هذه الأسلحة، وبخاصة أنه خضع لتفتيش قاس لعدة سنوات، وشهد العالم عبر وسائل الاعلام المرئية تدمير مصانع أسلحته، ولم يبق له السلاح العادي، الذي لايستطيع أن يرد به الهجمات اليومية الأمريكية والبريطانية، تلك الهجمات التي أصبحت عملا روتينيا، تحطم طائراتها ماتريد تحطيمه بالشمال والجنوب، مما تسببت عنه أضرار كبيرة، في الأرواح والبنايات والمعدات، والعراق المتهم بتطوير أسلحة الدمار الشامل لايستطيع رد هذه الهجمات التي أصبحت مثل الوجبات الغذائية، تقدم في مواعدها المضبوطة؟!

لكن الرئيس بوش رأى أن هذا لايكفي، ولابد من نزع أظفار العراق، ولم يكتف بتقليمها حتى اللحم، بل يريد نزعها بالكلية، والفكر الامريكي الجديد الامبريالي التوسعي يريد من سائر الدول العربية أن تكون كالنعاج، أو كالدجاج الأبيض يقدم للمجزرة متى أريد تقديمه، فاليوم دور العراق، وغدا وبعده دور الأخرين، لأن ترضية إسرائيل والصهيونية في أمريكا وغيرها لاتحصل إلا بذلك؟!

فإصرار الولايات المتحدة على تدمير العراق، ليس بغريب مادام الهدف واضحا، والغاية معروفة ترضية اسرائيل، والاستيلاء على منابع النفط العراقي، والتحكم في المنطقة بكاملها، بالأمس القريب أجبر الطيارون الصينيون طائرة التجسس الامريكية على الهبوط في جزيرة هاينان الصينية بعد اصطدامها بمقاتلة صينية تحطمت، وقتل طيارها، في ذلك الوقت اشتدت الأزمة بين الصين والولايات المتحدة، وطلبت حكومة الصين اعتذارا رسميا من أمريكا عن حادث الاصدام، واكتشاف عملية التجسس، وترقب العالم بأسره رد فعل أمريكا على دولة الصين القوية، والتي تمتلك ترسنة نووية متطورة، ومقعدا في مجلس الأمن، وبعد أيام من الحوار الديبلوماسي الساخن، أعرب الرئيس بوش عن أسفه واعتذاره لفقد الطيار الصيني، ذاكرا أن البلدين يجب ألا يسمحا لهذا الحادث أن يؤثر على العلاقة بينهما؟! وسعى الرئيس الأمريكي إلى توثيق علاقته بالصين!!

والغريب في الأمر أن الولايات المتحدة تبيح لنفسها وصف من شاءت بكونه ضمن محورالشر، والجدير بالملاحظة أن هذا المحور الشرير لاتوجد به دولة نووية واحدة، بما في ذلك اسرائيل التي تدمر البيوت والمزارع، وتقتل النساء والاطفال والشيوخ، وتأسر الشباب وتعاقب العقاب الجماعي بالحصار والتجويع والقتل والتدمير... وبكل أسف أن عين الشر ومنبعه خارج عن محور الشر؟!

وها هي اليوم كوريا الشمالية تعلن للملأ أجمع بأنها تواصل العمل في تطوير سلاحها النووي، وبهذا يبدو جليا أن أمريكا تغض الطرف عن الدول القوية، وتستهدف الدول الضعيفة كأفغانستان والعراق والسودان... وهنا يغيب المنطق السليم الذي توزن به الأمور، ويحل محله منطق استعراض العضلات وترويع وإرهاب الضعفاء، بدعوى صد الخطر عن أمن الولايات المتحدة، ولذا يحق لها أن تجيش الجيوش، وتدفع بمآت الآلاف من الجنود، وتحرك الاساطيل البرية والبحرية، وتطالب الدول المجاورة وغيرها بفسح المجال أمامها للهجوم، وتعمل على إثارة الراي العام وكأن الدنيا في طريقها إلى الفناء؟!

وقد حاولت بعض الدول الكبرى إيقاظ الادارة الامريكية، وتبصيرها بسوء مآل تحركاتها، وبأن ماهي آخذة فيه يثير الكراهية والاشمئزاز، وبالرغم من ذلك فهي سادرة فيما خططته، ورسمته لنفسها، إرضاء للوبي الصهيوني، وزعيمه شارون البغيض..وعملت إدارة بوش على تغيير المفاهيم، وجعلت من مقاومة الاحتلال إرهابا، ومن المستعمرين بالفتح إرهابيين، تتهم من تشاء، وتبرئ من تشاء وكأن الدنيا لايوجد فيها من يميز بين الحق والباطل، ولابين العدل والظلم، والخطأ والصواب...؟! وهذا المنطق منطق مرفوض، وسكوت البعض عنه ورضى البعض الآخر، لايتعدى أن يكون من باب الخوف، أو باب المجاملة، وبداهة أن الظلم الصراح، والوزن بمكيالين، والتلاعب بميزان العدل ترفضه وتمجه الطبيعة البشرية، لكن بكل أسف أن حب إسرائيل يعمي ويصم، ولله في خلقه شؤون، وقديما قيل: ان الظلم حبله قصير" وهو مبغوض لدى بني الانسان أحب من أحب وكره من كره، ورب العباد الذي لم يرض الظلم لنفسه لايقره بين عباده.

مع السنة

إعداد الاستاذ: مصطفى أصبان

مرحبا بشهر الجود رمضان

جاء في السنة المطهرة من رواية بن عباس (ض) قال: "كان رسول الله (ص) أجود الناس وكان أجود مايكون في رمضان... الحديث" نستخلص من مضمون الحديث، تعظيم شهر رمضان، ويؤخذ ذلك من كثرة نزول القرآن الكريم بواسطة جبريل عليه السلام في رمضان، بالذات، لماذا؟التدريس القرآن لسيدنا محمد (ص)، ومعلوم لدى المسلمين أن نزول القرآن الكريم هو أكبر الرحمات " وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة"فالقرآن يضم بركات كثيرة، وقد خصت بهذا الخير، أمة سيدنا محمد (ص)، دليل آخر نتلمسه في تعظيم الأزمنة أو الأمكنة التي شرفها الله، إنما هو بزيادة العبادة فيها، ويؤخذ ذلك من فعل جبريل مع النبي (ص) الذي كان في كل ليلة يدارسه القرآن ويفهمه له، وفي هذا تنبيه لتعظيم شهر رمضان،ويؤكد هذا المعنى قول الرسول الأكرم (ص) "فيمن قامه إيمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه" وزيادة في تعظيم الشهر قال "فإن تمسك أو سبك فقل إني صائم، إني صائم" وتلاوة القرآن فيه توجب زيادة الخير، لأن الفعل هو ثمرة التلاوة، فإن تلا الإنسان، ولم يفعل كان كشجرة بلا ثمر. فالنبي (ص) إذا كان في تهجده، ومر بآية رحمة سأل، وإذا مر بآية عذاب استجار، وإذا مر بآية تنزيه سبح وعظم حتى يحصل له حال مما هو ذاكر له. وتلك هي أوصاف العبودية، وفائدة أخرى، أن ليل رمضان أفضل من نهاره ويؤخذ ذلك من أن جبريل عليه السلام لم يكن يأتي لرسول الله (ص) إلا بالليل، وفي حضوره إلى النبي ليلا إشارة وآية إشارة، أن التلاوة المقصود منها الحضور والفهم، لأن الليل فيه أشياء تعين على ذلك، ومنها التفرغ من مختلف الاشغال، قال مولانا سبحانه "إن ناشئة الليل هي أشد وطئا وأقوم قيلا" فقول الصحابي عن سيدنا محمد (ص) أنه كان أجود الناس، فماذا بقي له أن يعبر به عن كيفية زيادته في أفعال الخير حيث عبر بالريح، لأن الريح المرسلة إذا جرت دامت ولم تنقطع وعبر عن خير سيدنا محمد (ص) أنه كان أكثر من الريح، لأن الريح قد تسكن وقتاما، والمرسل منها دائما لايفتر، فالرسول (ص) كان في العشر الأواخر من رمضان يشد المئزر ويقول لأهله، اطووا الفراش. ومن الفقه أيضا، أن من أراد زيادة الخير، فلينظر في الأسباب المقوية للعزائم، نسأل الله العون والمدد، وأن يرزقنا من حيث لانحتسب.

توقيت السحور

جاء في السنة المطهرة عن زيد بن ثابت (ض) قال: تسحرنا مع النبي (ص) ثم قام إلى الصلاة، قلت كم كان بين الأذان والسحور، قال: قدر خمسين آية. فالمتناول للحديث الشريف يعلم من ظاهره، أن تأخير السحور من السنة، لأن النبي (ص) تسحر وكان بينه وبين الفجر قدر قراءة خمسين آية، وقد فعل النبي (ص) ذلك، لأنه ينظر إلى ماهو أرفق لأمته. وسحور النبي (ص) لمن يتأمله، يستخلص منه جملة من الألطاف والرحمات بالمؤمنين، فالمطلوب في الصلاة شرعا الحضور بالقلب، فإذا كان يجاهد النوم لم يتأت له مع ذلك حضور، ولهذه المعاني السامية أخر النبي (ص) السحور إلى قريب من الفجر، باعتبار أن المرء إذا تسحر في ذلك الوقت لم يبق بينه وبين أداء الصلاة إلا قدرما يأخذ أهبتها فكان ذلك سببا إلى إيقاع الصلاة بحضور، وإذا أوقع المؤمن الصلاة بعد أكل دخل في النهار فاشتغل بما له من الضرورات والأوراد عن النوم وبهذا تحصل فائدة أخرى صحية وهو تركه للنوم بعد الأكل، وترك النوم زيادة في العمر، وجاء أن النوم يعني الوفاة الصغرى مصداقا لقوله تعالى "وهو الذي يتوفاكم بالليل" فخلع على النوم صفة الوفاة، والعاقل مهما قدر على الزيادة في عمره ولو بنفس واحد فعل، فالتاجر أبدا عند الناس لايقال له تاجر،حتى يحافظ أبدا على رأس ماله ويكون عارفا بالتجارة، والتاجر الحقيقي هو المؤمن الذي يتجر فيما يبقى وآخرون يتجرون فيما يفنى، والمؤمن رأس ماله هو عمره، لذا فهو يحافظ عليه ويطلب الربح من الله، فيحذر من كثرة النوم والغفلات، وقد أوحى الله عز وجل إلى داود عليه السلام في الزبور "ياداود من تاجرني فهو أربح الرابحين" فالمرء إذا لم يتحرز من الغفلات فهو كالنائم سواء لقوله (ص) : "مثل الذي يذكر ربه والذي لايذكر مثل الحي والميت" فجاء التشبيه بالميت لأن وقته عري عن عبادة ربه، فضاع العمر وتبدد رأس المال. وفائدة السحور أن فيه خيرا كثيرا . زيادة أن السحور في ذلك الوقت عون على صيام النهار. ويستفاد من الحديث في تقدير الزمان بخمسين آية فيه إشارة إلى أن الصحابة (ض) كانت أوقاتهم مستغرقة في التعبد لذلك قدروا الزمان بتلاوة القرآن، ويترتب على هذا من الفقه أن يكون السحور بقرب الصبح، فلا يشتغل المرء إلا بالصبح وهو الأظهر والله أعلم.

من فضائل رمضان الإيجابية تدريب المسلم على مراقبة الله في السر والعلانية

إعداد الأستاذ: محمد الأمراني

أخي الصائم .

هاهو رمضان المبارك قد أظلنا هلاله، حاملا بين طياته بشائر الرحمة ونفحات الغفران، وناقلا بين ثنايا أيامه الغر القلائل أريج البركات ونسمات الرضوان ، إنه شهر التنسك والعبادة بمفهومها الواسع، والتهجد والإنابة، شهر فضله الله على سائر الشهور، فهو كالدرة الوهاجة في قلادة السنة ، تشرق فتضيء للمعانها الأرواح الخيرة، والنفوس الطاهرة ، وتومض فتنعكس على مرآتها المجلوة الضمائر الصافية ، ولا عجب في هذا فهو الشهر الذي يجلو الصدأ الذي علق بالقلوب طيلة السنة فيصقلها، والدرن الذي علا النفوس فيغسلها، إنه الشهر الذي يصهر جسم المسلم الصائم في بوتقة الجوع والحرمان والظمأ عن طواعية واختيار وابتغاء مرضاة الله العزيز الغفار ، فلا يمر الشهر حتى يستخرج الجسم تلك الطفيليات الزائدة، وتبقى الخلاصة المصفاة، ويزول من النفس ما علق بها من الأرجاس، وترسب في قراراتها الزبدة المنتقاة.

فإذا كان شهر رمضان . أخي الصائم . هذه بعض مزاياه الكبرى ، فاستقبله بما هو جدير به من التعظيم والانشراح، وضمه إلى صدرك في حنان واشتياق ، ولا تقطب جبينك في محياه الجميل ، ولا تستقبله بوجه متجهم ونظرات شزراء وألفاظ نكراء ، فهو ضيف زائر ومسافر عابر، قد حط عصا التسيار في معتاك، وألقى ترحاله وسط رحابك، أليس من اللياقة بل من الواجب أن يقوم المضيف بواجب الضيافة إزاء ضيفه الكريم؟ وألا يستثقل زورته ، لاسيما إن كان هذا الضيف العابر يحمل في جرابه خيرا كثيرا وفضلا جزيلا.

أخي الصائم:

إن هذا الشهر الأغر شهر عظمه الله، وحث على اغتنام فرصته . والفرصة سريعة الفوت بطيئة العود . للاغتراف من فيض أنواره الربانية ، والتعمق في كنه اسراره الإلهية، والتدبر في حكمه البليغة ومعانيه الدقيقة، وللتحرر . ولو شهرا واحدا . من سلطة المادة الطاغية فتسمو بنفسك، وتتعالى بها عن هذه الدنيا الضيقة: دنيا الشهوات والملذات إلى عالم روحاني ساحر وجو وجداني طاهر، وسمو نفساني باهر، حيث الطهر والصفاء اللذان افتقدتهما خلال السنة.

إن شهر رمضان شهر التقوى والعبادة والرحمة والغفران ، فلا تدنس قداسة أيامه النورانية وطهر لياليه القرآنية، بما يشين ثوبه الصافي، بل تدبر وتفكر وخذ منه دروسا بليغة وحكما قويمة، ولا تجعل هذا الشهر وسيلة لملء البطن بما لذ وطاب، بل اقتصد في مأكلك وشربك ، لعلك تحقق المغزى الحقيقي من الصيام الذي يرمي إليه الشارع ، ولا تنس ان توسع على أهلك وذوي رحمك وتواسي المحتاجين قدر المستطاع ، فإن الله يضاعف للمحسن في هذا الشهر الحسنات ، ويثيبه على قدر ما تحمل من أنواع العبادات وصنوف القربات.

وإني أربأ بنفسك . أخي الصائم . ان تكون من الذين ينظرون إلى شهر رمضان على أنه شهر التواني والانحلال والنوم والاسترخاء وهمود الجسم وقلة الانتاج والتقليل من الأعمال في مختلف الإدارات ، وملء المعدة بكل أنواع المطعومات والمشروبات، وقتل الوقت بلعب الورق والسهر في المقاهي والتجول في الشوارع والطرقات؟ فما لهذه المظاهر السلبية شرع الصيام، بل شرع لحكمة أسمى، وفرض لمعان أعلى فهو عند الجاهل بحكمه السامية جوع وعطش وحرمان ، وتعب ومشقة وحد من حرية الانسان، وعند العالم بمقاصده النبيلة واسراره العظيمة رياضة وأية رياضة ، وتحكم في شهوات النفس الجارفة وملذاتها القاتلة، هذه الرياضة الروحية تتصل بالجسم قليلا وبالنفس والروح كثيرا، ولنحذر جميعا من ان ينطبق علينا قول الرسول صلى الله عليه وسلم: رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش، ورب قائم حظه من قيامه السهر» . ولنختم هذه الموعظة الحسنة بقول الحسن رحمه الله « إن الله تعالى جعل رمضان مضمارا لخلقه يتسابقون فيه بطاعته إلى مرضاته، فسبق قوم ففازوا وتخلف آخرون فخابوا ، فالعجب من الضاحك اللاعب في اليوم الذي يفوز المحسنون ويخسر المبطلون.

روى البخاري ومسلم عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « إن في الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة ، يقال : أين الصائمون ؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم فإذا دخلوا غلق ، وهو شهر أوله رحمة ووسطه مغفرة . وآخره عتق من النار.

لقد أوجب الله على المؤمنين صيام شهر رمضان تطهيرا للنفس من الذنوب والعصيان ، وتهييئا لها لتقوى الرحيم الرحمان انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، كما جعله شهر التوبة والغفران.

فالصوم تدريب جسمي وروحي للإنسان المسلم مدة من الزمان كل عام، غايته أن يتعلم المسلم كيف يتحكم في شهواته ورغباته، ويتعود الصبر وضبط النفس في حياته ، ومراقبة الله تعالى في كل تصرفاته السرية والعلنية، ومراقبة الله تعالى في السر والعلن كيف يتدرب المسلم عليها عن طريق الصيام.

ففي الصيام يتجلى هذا التدريب أكثر مما يتجلى في فرض آخر، فكثيرا ما يحس الصائم بالجوع والعطش، وامامه الطعام الشهي والماء العذب، وفي امكانه أن يختفي عن أعين الناس لحظات، ويشبع جوعه او يطفئ عطشه، ولكنه لا يفعل ، لأنه يراقب الله ويخشاه ، ولا يخشى أحدا سواه، « والله أحق أن تخشاه، ومن هنا تتكون في نفس الصائم روح المراقبة لله تعالى، وتلازمه في جميع أعماله الفردية والاجتماعية ، فالتاجر في متجره، والموظف في مكتبه، والعامل في مصنعه، والفلاح في مزرعته ، والمسؤول ، بمعناه العام ، أثناء قيامه بمسؤوليته، والعامل وقت بنائه وعمله، كل هؤلاء وغيرهم من أبناء الأمة في مختلف أعمالهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية و المهنية ، لو حاول أي واحد منهم . أثناء عمله ومزاولة وظيفته . الخروج عن طاعة الله بمفهومها العام لتذكر أن الله حاضر معه ومراقب عمله ومطلع على خباياه، فيرتدع ويكف عن المخالفة، وبذلك يكون قد استفاد من صيامه لا في رمضان فقط بل بعد خروج رمضان، أيضا، فيعظم له الأجر وتشمله النفحات الإلهية والرحمات الربانية، وتكون النتيجة تقوية الوازع الديني في المؤمن، ويقظة الشعور والضمير، وينعكس هذا وذاك على الأفراد والجماعات وعلى جميع المستويات، وصدق الله العظيم إذ يقول : « يأيها الذين ءامنوا كتب عليكم الصيام كماكتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدودات».

فلنكثر في هذا الشهر المبارك من التعبد والطاعات والتزود بالأعمال الصالحات، ولنوسع فيه على عيالنا وذوي قربانا وبقية مواطنينا، لعل الله يضاعف الثواب والأجر، ويثيبنا على ما بذلناه في طاعته من مشقة وصبر إيمانا واحتسابا.

« ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم » آمين.

تأملات و خواطر

محمد الخضر الريسوني

ذكرى المسيرة الخضراء

في زيارة لإحدى مدن صحرائنا ، لفتت انتباهي تلك البناءات والمؤسسات والساحات الجميلة بينما المواطنون الصحراويون المعتزون بمغربيتهم يروحون ويجيئون، وقد علت ملامحهم السكينة والسعادة بعد أن ارتدت مدنهم وقراهم حللا قشيبة أنستهم بما كانت عليهم البلاد في عهد الاستعمار من إهمال وتهميش وتحولت مساحات الرمل الواسعة إلى أرض خضراء تسهم بإنتاجها الفلاحي في تطوير اقتصادنا الوطني.

وعادت بي الذكريات إلى يوم المسيرة الخضراء التي فتحت أمام إخواننا في الصحراء آمالا كبيرة في استعادة الحرية المغصوبة وبناء الوطن ، ومواصلة مسيرة التنمية.

6 نونبر من سنة 1975 وضعت حدا فاصلا بين الاستعمار والاستقلال، وظلت المسيرة حدثا عظيما وملحمة بطولية، ذات صبغة تاريخية ووطنية، لقد نزلت الجماهير المغربية من أعالي جبال الأطلس مارة بالسفوح والهضاب من أقصى الشمال والشرق إلى الجنوب وهي تزمجر بصوتها وندائها مبشرة بالكلمة الفصل في استعادة وحدة البلاد التي مزقها الاستعمار زمنا طويلا ، وعاش 350 ألف متطوع ليالي صحراوية بسهراتها وأحلامها الوطنية وذكريات تربط الحاضر بالماضي ، كانت وجوه المتطوعين تكشف بوضوح الصورة الجغرافية لوطنها الحقيقي الأصيل.

لقد نطقت إرادتهم، فتردد صوتها في أرجاء العالم واجتازوا الحدود الاستعمارية الوهمية في تسابق هائل مشحون بقوة الرغبة في إحكام التواصل الأرضي بين شمال المغرب وجنوبه، كانت دموع الفرحة والتهليلات، والتكبيرات تنطق بأسماء رجال عظام تركوا أمانة تحقيق الوحدة في عنق الأجيال اللاحقة وأبروا فعلا بقسم المسيرة ووفوا بعهدهم في إعادة ترسيخ صورة خريطة الوطن الأصلية، تعالت أصواتهم الهادرة وكشفت لأعداء وحدتنا الترابية بأن الصحراء مغربية وأن الشعب المغربي ووراءه عرشه العتيد قادر على ردع كل الطامعين في أرضه وسيادته.

معنى علم القراءات

إعداد الدكتور: محمد حمان

ومعرفة وجوه القراءات أمر ضروري لا غنى عنه لمن يريد التفقه في دين الله، والاستفادة من الكتاب العزيز المتضمن لعامة أصول الديانة الإسلامية، وكدليل على هذا نستشهد بذلك الحديث الذي يذكره كل من الزركشي في البرهان، والسيوطي في الإتقان نقلا عن مقاتل وهو بهذا اللفظ: "لا يكون الرجل فقيها كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة"، ويعلق عليه مؤلف الإتقان بقوله: "قلت هذا أخرجه ابن سعد وغيره عن أبي الدرداء موقوفا، ولفظه: لايفقه الرجل كل الفقه، وقد فسره بعضهم بأن المراد أن يرى اللفظ الواحد يحتمل معاني متعددة فيحمله عليها، إذا كانت غير متضاضدة..."، فمن هذا التفسير الذي أورده السيوطي في تعليقه على هذا الحديث يتبين أن اللفظ الواحد قد يراد به على البدل عدة معاني مع بقائه دون تغيير، أما عندما يتغير اللفظ بفعل القراءات المختلفة فإن التغيير في المعاني يصبح أمرا لازما.

وبالرجوع إلى الحديث وما فسر به ندرك أن الفقيه لايغنيه النظر في علم عن النظر في علم آخر من علوم القرآن، فهو كما يستفيد من علم القراءات، الذي يمكنه من الاطلاع على اختلافات القراء المؤثرة في اختلافات الفقهاء، يستفيد كذلك من معرفته للوجوه والنظائر، ويعلم أن آثار هذا النوع من العلوم القرآنية ليست هي نفس الآثار التي للنوع الآخر مهما كان تقارب النوعين، وأن الجميع في خدمة أحكام الشريعة الإسلامية، ويتحقق مع ذلك أن ليس هناك أبدا أي تضاد في نصوص كتاب الله وصدق الإله العظيم الذي يقول في شأن إبعاد هذا الاختلاف: "أفلا يتدبرون القرآن، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا".

فالاختلاف الموجود بين القراء في قراءتهم لبعض ألفاظ القرآن يعد من باب التنوع لا من باب التضاد، كما هو الشأن في المعاني الكثيرة المستفادة من الاطلاع على الوجوه والنظائر.

وهذا الحديث المقتضب الذي جئت به عن الوجوه والنظائر دفعني إليه ذلك الرباط الذي لاحظته بين العلمين في كون كل منهما له تأثيره الواضح على الاستنباطات الفقهية من النصوص القرآنية.

فاختلاف القراء في قراءاتهم القرآنية يؤثر على استنباطات الفقهاء للأحكام الفقهية تأثيرا إيجابيا لا سلبيا، ذلك أنه يؤدي إلى تنوع هذه الأحكام وتكاثرها حتى تشمل جميع القضايا المستحدثة، كما أن معرفة الوجوه والنظائر توسع المجال أمام الفقيه، وتعطيه فرصة سانحة لاختيار المعنى المناسب الذي يمكنه من اصدار حكم عادل في القضية المعروضة عليه، ومن هنا اعتبر بعض الباحثين مثل هذه التوسعة نوعا من أنواع الإعجاز القرآني، وقد لمح إلى هذا الاعتبار العلامة الزركشي في البرهان ونسبه إلى المختصين في الميدان فقال: "وقد جعل بعضهم ذلك من أنواع معجزات القرآن، حيث كانت الكلمة الواحدة تنصرف إلى عشرين وجها أو أكثر أو أقل، ولا يوجد ذلك في كلام البشر".

وبما أن القراءات المختلفة لاتعد إلا علما واحدا من علوم القرآن الكثيرة، وأن أساس تعددها هو ما جاء به حديث رسول الله (ص) من نزول القرآن على سبعة أحرف، وأن المراد من هذا التعدد هو التخفيف والتيسير والتوسعة على الأمة المحمدية في أن تقرأ كتابها بما تيسر لها من الأوجه المختلفة التي بينا أنها للتنوع، وأنها توسع الدائرة أمام المختصين من الباحثين في استنباط الأحكام الفقهية، وبما أن القرآن المنزل من عند الله هو شيء واحد لااختلاف فيه على الإطلاق فتكون النتيجة المنطقية والطبيعية أن القرآن شيء والقراءة شيء آخر.

وهذه النتيجة هي التي توصل إليها بعد بحث مسفيض صاحب البرهان الزركشي، إذ نجده يقول في كتابه هذا: "واعلم أن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد (ص) للبيان والإعجاز والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف أو كيفيتها..."

فالقرآن أعم من القراءة، ولهذا كثرت الأبحاث حوله وتعددت العلوم التي نتجت عن تلك الأبحاث المختلفة، وأصبحنا نرى علم القراءات من جملة العلوم القرآنية المتعددة التي توصل إليها الباحثون في القرآن الكريم، لكن مهما اختلفت جوانب وموضوعات علوم القرآن فإنها تبقى على صلة ببعضها البعض.

فلا نعجب إذا رأينا القراء يبحثون في فضائل القرآن، وفي كيفية نزوله، وفي الطرق التي تم جمعه عليها، وفي الترتيب بين آياته وسوره، إذ مثل هذه الأبحاث التي يشاركون فيها غيرهم تعد أساسية لما التزموا به من العناية بالقرآن الكريم حفظا وكتابة وعملا.

فالقراء يأخذون الدرجة الأولى في التصدي لقراءة كتاب الله وحفظه عن ظهر قلب، وهم أولى الناس بالبحث في رسمه وكتابة كلماته في المصاحف التي وزعها عثمان علي الأمصار الإسلامية المهمة في عهده، وهم أحرص أفراد الأمة المحمدية على العمل بما جاء فيه من الأوامر والنواهي والتنظيمات التشريعية التي جاء بها الدين الإسلامي الحنيف تحقيقا لمصالح الأفراد والجماعات.

وإذا كان يصعب علينا أن نتطرق في هذا الجزء من المدخل التمهيدي إلى كل مادرسه ويدرسه علماء القراءات القرآنية فإنه يكفينا أننا أشرنا إلى اهتماماتهم الرئيسية، على أن الذي يهمنا كثيرا في بحثنا هذا مما خاضوا فيه هو الجانب المتعلق باختلافات القراء، وخصوصا منها ذلك النوع الذي يعمل عمله في اختلافات الفقهاء الباحثين المستنبطين للأحكام الشرعية من مصدرها الأسمى الذي هو القرآن الكريم.

ومما خاض فيه الباحثون في القراءات القرآنية، وله أثره الفعال في مجال الأحكام الفقهية، الوقف والابتداء والفصل والوصل، وتوجيه القراءات، فالذي يعرف أين يقف، ومن أين يبتدئ، لايخفى عليه المعنى الذي يسترشد به ويصل عن طريقه إلى استخلاص الأحكام الشرعية من النصوص القرآنية، وبهذا الاعتبار جعل بعض العلماء تعلم مايوقف عنده ويبتدأ به أمرا واجبا، ومنعوا منح الإجازة لمن لايعرف الوقف والابتداء.

الوصية التاسعة: الوفاء بعهد الله

ذ. أحمد تشيكرت

قال تعالى «وبعهد الله أوفوا» والوفاء بعهد الله هو كل ما عهد به إلى عباده وأوصاهم به من تكاليف هذا الدين وأحكامه فيدخل في عهد الله سائر العبادات والطاعات المشروعة . ومنها هذه الوصايا. كما يدخل في عهد الله ، ما تعاهد به الناس بعضهم لبعض من عقود والتزامات فيها مما يجب الوفاء بها شرعا ، كما قال سبحانه: «يأيها الذين ءامنوا أوفوا بالعقود» سورة المائدة آية 84. وقال : «وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا » سورة الإسراء آية 34 ، ومن الوفاء بالعهد . عهد الله . أن نوحده ونعبده وحده لا شريك له . ونطهر قلوبنا وألسنتنا من كل أنواع الشرك سواء كان ذلك قولا أو عملا أو اعتقادا، فإن الأرواح عاهدت ربها في الأزل بتوحيده قال الله تعالى » وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم. ديارتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين» سورة الاعراف / الآية 12 ومن الوفاء بالعهد ، إخلاص العبادة لله وحده «فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا» ومن الوفاء بعهد الله ، الطاعة المطلقة له ، في كل ما أمره به البعد كليا عما نهى عنه ، والعمل بكتابه والتمسك بسنه نبيه. يأيها الذين ءامنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم، فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تومنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تاويلا » سورة النساء 59 . ومن آمن بالله ربا وبالإسلام دينا وبسيدنا محمد نبينا ورسولا . فإن إيمانه وخيانة العهود لا يجتمعان في قلب مومن ، قال عليه الصلاة والسلام:«أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهم كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، إذا اتمن خان ، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر» رواه الشيخان، وقد بين الرسول (صلى الله عليه وسلم) في هذا الحديث إن من وجدت فيه أربع خصال كان منافقا خالصا ومن وجد فيه بعضها كان لديه من النفاق بقدر ما وجد فيه. وتلك الخصال هي خيانة الأمانة والكذب في الحديث والغدر في المعاهدة والفجور في المخاصمة ، فخلف الوعد، ونقض العهود والغدر من أبواب الكذب ، وقد رتب الله عليها نفاق القلوب في قوله عز وجل: « فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه. وبما كانوا يكذبو ن» سورة التوبة/ الآية 77.

فقد عاهد تعلبة ربه على أن يعطي كل ذي حق حقه إذا وسع الله عليه في الرزق وأغناه من فضله . فلما بسط الله له في رزقه، وأكثر له من المال والثروة نقض العهد، وبخل على عباد الله ، فأنزل الله في حقه «ومنهم من عاهد الله ... إلى قوله: وبما كانوا يكذبون»

فنقض العهود يحدث صراعات ونزاعات بين الأفراد والجماعات ويجر إلى نتائج وخيمة، وإننا أصبحنا اليوم نرى أنا سا قد تعفنت ضمائرهم ، وغلبت عليهم شهوة الدنيا والمصالح المادية فأصبحوا ينظرون إلى العهود والمواثيق على أنها صفقة تجارية يتحايل فيها كل طرف على الآخر ولا سيما إن كان بين قوي وضعيف.

ولقد كان الوفاء خلق الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام قال سبحانه وتعالى: «واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيئا» سورة مريم / الأية 41 وقال«واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيئا» سورة مريم / الأية "54، والرسول (صلى الله عليه وسلم، عاهد اليهود بعد الهجرة عهدا أقرهم فيه على دينهم وأمنهم وأموالهم بشرط ألا يعينوا عليه المشركين فنقضوا العهد ، ثم اعتذروا ثم رجعوا فنقضوه مرة أخرى فأنزل الله فيهم «إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يومنون الذين عاهدت منهم . ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون » سورة الأنفال/ الأية : 55 . وكان الرسول (صلى الله عليه وسلم) قمة في الوفاء بالعهد ، فلم يخلف وعدا قط منذ نشأته إلى أن التحق بربه، فقد رباه الله منذ صغره بالتخلق بالأخلاق الفاضلة حتى أصبح يدعى في قريش بمحمد الأمين قبل البعثة ، يقول تأثر أصحاب الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالأخلاق الفاضلة، فكانوا أصدق الناس وعدا وعهدا ، فقد ورد أن عبد الله بن عمر(ض) لما حضرته الوفاة قال: انه كان خطب إلي بنتي رجل من قريش ، وقد كان مني إليه شبه الوعد فوالله لا ألقى الله بثلث النفاق أشهدكم أني قد زوجته ابنتي اضمنوا لي شيئا من أنفسكم أضمن لكم الجنة اصدقوا إذا حدثتم واوفوا إذا وعدتم وادوا إذا اتمنتم . واحفظوا فجروكم وغضوا أبصاركم وكفوا أيديكم ، رواه أحمد وابن حبان.

الخالق ووحدانية الكون

إعداد الأستاذ: إدريس خرشاف

« لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا» سورة الأنبياء الآية:22 . يزعم الماديون وعلى راسهم الفيلسوف اليوناني أرسطو أن الكون أزلي ، أي أنه عبارة عن كون لا أول له ولاآخر، وبالتالي فإنه ليس مخلوقا.

فإذا كان مدلول هذه الرؤية قد تقبلها كثير من الناس (وخاصة الذين يقلدون كل ما هو أجنبي) في الآونة الأخيرة، فإن طرحها الآن، وبعد تطور الفكر البشري . قد يطرح عدة إشكاليات تقنية، خاصة وأن مفاهيم المطروحة في عصرنا تحتاج لبراهين عقلية لا تعتمد على مرجعية فانية، بل على حقائق ثابتة، ومطلقةصالحة في الزمان والمكان.

إن الدارس للفلسفة اليونانية، بدءا من طاليس ومرورا بعلماء وفلاسفة الذرة ، سوف يلاحظ أن جميع الأبحاث، حاولت معالجة مفهوم المادة، وخاصة في عصرنا الحالي والتي أخذت مصطلحا جديدا وأطلقت عليه اسم المادة الكونية، رغم أن البعض لم يعرفها على أساس أنها مادة معينة كالماء أو الهواء، بل تصورها العلماء مثل الفيزيائي Werner Hzi-senberg كضرب من ذخيرة متجسدة، غير محددة، تكمن فيها إمكانية الصيرورة إلى الفعلية باتخاذ هيئة.

وهكذا ظل مفهوم المادة قضية غير محددة المعالم ، ثم تحول هذا المفهوم مع الزمن إلى مظاهر أخرى.

وعلى سبيل المثال، إذا قرأنا تفكير ديكارت ، فإن المادة بالنسبة له تعتبر شيئا رئيسا إذ تعتبر نقيض النفس، وهذا المفهوم أعطى مظهرين متتامين للعالم، كما يقول ديكارت:" الشيء الممتد" و"الشيء الفكري".

لقد كانت آراء الباحث الفيزيائي Emig Noel في بداية الأمر مع المادة ترتكز على العالم المحيط بالأفراد، وظل الخوض في هذا المضمار يتارجح بين الميثولوجيا اليونانية والسذاجة الفردية، أما مذهب العالم المسلم ابن سينا في نظريته المادة والصورة ، فإن يحددها بالرجوع إلى مصدرين: العالم الميتافيزيقي والعالم الطبيعي.

إذا قمنا بقراءة ولو سريعة لسائر المخلوقات التي نشاهدها، سواء كان ذلك بالعين المجردة أو بواسطة الميكروسكوبات الإلكترونية الماسحة أو السائلة، تبين لنا أن هناك تنوعا كبيرا في عناصر الخلق.

وعلى سبيل المثال ، إن عدد أصناف المخلوقات البكتيرية (مخلوقات صغيرة الحجم) يصل إلى حدود 100.000 صنف، كما أن عدد أصناف الحشرات يصل إلى 1000000صنف دون ذكر عدد أنواع النباتات العليا والتي يصل عددها إلى حدود 200000 صنف.

وهذا يدل على كبر العوالم المخلوقة المشاهدة فوق كرتنا الأرضية، ويعلم الله ما يجري في العالم الكوني الذي تفوق فيه عدد مجراته المليار مجرة.

كل هذه التغيرات دفعت أهل البيولوجية للبحث عن التصنيف الشجري للكائنات الحية Taxionomie، وتصنيف المجرات أمثال NGCوغيرها.

وهكذا نجد عام 1938 ظهور العالمين Schle-dei و Schwannاللذان برهنا على وحدانية المخلوقات ، منطلقين في براهينهم من فكرة وتعريف الخلية التي هي الكائن الحي المشترك لكافة المخلوقات سواء كان نباتية أو حيوانية أو إنسانية.

وفضلا عن ذلك كله، فإن اكتشاف الحامض النووي A.D.N. قد مهد الطريق بصورة أوضح أمام العلماء لقراءة كل الأخبار الوراثية التي مهدت الطريق للباحثين للتعرف على مكونات التعابير الوراثية لكل الكائنات الحية.

نستنتج من قراءتنا السريعة لأعمال الباحثين ، أن الخلية تعتبر الوحدة المشتركة والأساسية في كل الكائنات الحية، وهذا معناه أن المخلوقات جميعا لها خاصية مشتركة، ووحدة بنيوية متشابهة، وهي نفس الفكرة المستخلصة سابقا، والتي مفادها أن كل كائن حي مخلوق على نظام واحد في الخلق.

وبالمناسبة، فإنه يمكننا تذمكير القارئ الكريم بما توصل إليه علماء هذا العصر، حيث وجدوا:

أ . أن تركيب الخلية في جميع أجسام المخلوقات الحية متشابهة ، ولها نظام واحد، وإن كانت الصفات فيها تختلف والخصائص فيها تتنوع.

ب . أن في كل خلية حية من جسم المخلوقات الحية، نواة وفي النواة تستقر عوامل الوراثة المسؤولة عن جميع الصفات، والخصائص، وبذلك فإن لكل نوع من الخلق عوامل وراثية مميزة له، لا تكرر في غيره من الأنواع، وتنتقل العوامل الوراثية من الآباء إلى الأبناء ومن جيل إلى جيل آخر.

كل ذلك يحدث في نسق تام، وبالنسبة لكل مخلوقات الحية، ونحن لا نشعر بما يدور فينا من بناء وتشييد وموت.

ح . وجود قانون علمي عام وموحد وشامل لا يعرف إلا الذي خلق هذه المخلوقات.

من هذه الفقرة يمكننا التأكيد على حقيقة وجوب وحدانية الخالق، وأنه لاشريك له في الخلق.

أما على مستوى الجماد ، فإن لنظام الخلق في الجماد نظاما واحدا كذلك، هذا بالرغم من أن كل جماد مكون من عناصر مختلفة سواء في البنية أو الشكل ، إذ اكتشف علماء الفزياء الكونية Astrophysique أن نظام الذرة يشبه تماما نظام خلق المجموعة الشمسية المكونة من الشمس وكواكبها.

فكما في وسط الذرة نواة تدور حولها الإلكترونيات وفي مدارات مختلفة ، فكذلك الشمس تدور حولها كواكب في مدارات مختلفة، وكأن الذرة مجموعة شمسية مصغرة، يقول العالم الإسلامي علي أبو حسن . قبل اكتشاف الذرة بقرون . " إذا فلقت الذرة فسوف تجد في قلبها شمسا".

ياسبحان الله ، كيف تمكن هذا العالم المسلم ذكر هذه القضايا التي سبقت العلم بقرون، ألم يكن ذلك من الدين الإسلامي؟

فالحقائق التي يمكننا استخلاصهاهي:

أ . تكافؤ النظام الذري والنظام الشمسي من حيث الخلق والتصميم والإنشاء.

ب . كل عناصر الكون في حركة، والحركة لها بداية ونهاية.

جـ . للحركة برمجة، ولكل برمجة مبرمج وهو رب العالمين.

د . هذا المبرمج واحد ، لأنه لو كان في الكون آلهة لكان لكل إله نظام خاص به، تختلف مخلوقاته . ربما . اختلافا كليا عن نظام المخلوقات التي صنعها الإله الآخر، وهذا غير موجود في الكون لأن جميع عناصر الكون متكافئة التركيب والحركة ، وصدق رب العالمين حينما يقول : هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه" سورة لقمان / الآية :11

ويقول الله تعالى: " لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا" سورة الأنبياء/الآية :22.

وسبحان الله أصدق القائلين.

تعزية

انتقلت إلى رحمة الله السيدة الفاضلة الزوغواني راضية بنت الشيخ محمد الزغواني أحد كبار علماء الزيتونة في القرن الماضي وزوجة الفقيه الارضي الجليل أحمد البدراري أمام المسيرة الخضراء المضفرة.

ويذكر أن الفقيه المذكور كان قد تزوج الفقيدة بتونس أيام طلبه للعلم هناك بجامع الزيتونة على يد الشيخ الطاهر بن عاشور وابنه الفاضل، وقد حضر الحفل لفيف من علماء الزيتونة والصادقية وعلى راسهم الشيخ الطاهر ابن عاشور الذي كان كفيلها ووليها .

وعلماء المغرب اذيعزون الفقيه الجليل سيدي أحمدالبودراري وأولاده والمقربين إليه ليرفعون أكف الدراعة إلى الله العلي القدير أن يلهم الجميع الصبر الجميل وأن يشمل الفقيدة برحمته الواسعة ويسكنها فسيح جناته إنه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير وانا لله وانا إليه راجعون.

قال العلامة المرحوم سيدي محمد الطاهري في كتابه عقد الجواهر الحسان باب الصيام

فيما فيه القضاء فقط، أو فيه القضاء والكفارة معا:

حمدا لمن برمضان قد قضى
ثم صلاته على خير البشر
هذا وما فيه قضا الصوم فقط
فهاك ما فيه القضاءوحده
قضا الصيام وحده يجب في
وإن بإيلاج وأسقط القضا
ورفع نية نهارا ناسيا
وصب مائع بحلق نائم
والأكل مع شك بفجر أو غروب
وواصل للحلق طوعا من بخار
وغالب السواك والمضمضة
وقادم من قبل فجر ظن
ومثله مسافر أقل من
راء نهارا لهلال العيد
ومجنب لم يغتسل للفجر
وجاهل يوما كيوم الشك أو
ومفطر عن نسي أو كره فظن
ومن يظن يوم شك بعد
ومفطر لعزمه على الظعن
ومن تسحر بلصق فجره
مبتلع غلبة لمائع
من قاء عمدا القضا فقط وإن
أما إذا ابتلع بعضه وإن
ولا قضا إن قاء قهرا إلا
وعند عمد بلعه التكفير فيه
وقس على ما مر خال شبهه
ويجب القضاء والتكفير في
وعالم بحرمة ذي عمد
برفع نية تعمدا ولو
وعمد فطر جاهل للتكفير
كذا بالأمنا غير ما بفكر
إيلاج بالغ بفرج من يطق
وعمد قيء مع بلع منه
وعمد الاستياك بالجوزاء مع
وعمد إيصاله من فم إلى
ويتأول بعيد كالتي
ومثلها معتاد حمى ظن
كعمد إفطار الذي على السفر
وشاهد برؤية فرد
وذي اغتياب ظن بطلان الصيام
وسيدي الطالب قال لو نقل
فإن تجد مثل الذي قد ذكر
وانظر خليلا وشروحه تجد
رحمهم ربي ومن تقدم
ثم بتكفير له وبالقضا
محمد والآل والصحب الغرر
أو مع تكفير بنظمي ارتبط
وما به التكفير معه بعده
حيض نفاس مفطر سهوا يفي
الشافعي والحنفي المرتضى
محتجم أفطر كن مراعيا
جماعه وداخل لا من فمي
كالشك بعد الفجر أو بعد الغروب
أو البخور أو دخان لا اضطرار
ومثل ذا الإفطار عن كراهة
إباحة الفطر الذي تمنى
مسافة القصر فكن ممن أمن
فظن أن اليوم يوم عيد
وجاهل لرمضان فادر
جاهل حرمة لفطر قد رووا
أنه لايجب الإمساكا اعلمن
ثبوته حلا ففطرا أبدى
في يومه، وهو فيه قد ظعن
فظن بطلانا مبيح فطره
أو جامد فكن لهذا التابع
لم يبتلع ولو غلبي يافطن
قهرا فبالتكفير ألزمه تبن
بالبلع لا عمدا فقدت الجهل
مع القضاء ذا الجميع يصطفيه
قوية أبدت لعذر وجهه
منتهك في رمضان فاعرفي
وذا اختيار لاتحد عن قصدي
ليلا إلى طلوع فجر قد حكوا
مع علم حرمة لفطر ياسمير
أو نظر لم يستداما فادر
ولو بهيمة وميتا ياصديق
ولو غلبى دع لا تقربنه
بلع ولو غلبة إياها دع
جوفه جامدا آخي أو سائلا
ظنت محيضا وأتى ما ظنت
مجيئها وما أزاح الظن
عزم ثم لم يسافر الخبر
فظن حلا فلذا تعدى
وأن إفطاره ليس بحرام
عدم تكفير بغيبة قبل
فلتنظمنه وأظفه تشكر
ما قد ذكرته إذا كنت تجد
ومن تلا ومن لهذا نظم

الصيام في التشريع الإسلامي:

الدلالات والمقاصد 2/1

إعداد الأستاذ: العربي الغساسي

إذا كان لشهر رمضان ذلك الفضل الرباني في جهاد المسلم للنفس والهوى، فمن الطبيعي جدا، أن يشتمل على مقاصد واسعة في حياة المسلم والأمة الموحدة، ومقاصد أخرى أوسع في حياة التكافل الاجتماعي، فمن مقاصده:

. المقصد العقائدي: تبدو روعة المقصد العقائدي لدى الصائم في خضوعه وامتثاله لرب العالمين، حين يأمر عباده في كتابه:"يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون" سورة البقرة/الآية:183، ومن هنا كان الفرض وكانت التلبية فالصوم هو الركن الرابع بين أركان الإسلام الخمسة. والمفهوم العقائدي له هو الذي ينمي العقيدة ويقويها، بعيدا عن المفهوم المادي. الصوم هو الذي يربي العقيدة في النفس الصائمة، قناعة الإيمان بالله، وعظمته، ورحمته، وحكمته، بيد عباده الذين يرجعون إليه معتمدين عليه في السراء والضراء. ومن هنا كانت الحكمة في فرضية الصوم شهرا كل عام، شهرا متتابع الأيام، حتى يتذرع الصائم بالصبر، ويكون عونا وسندا للخير بين الحين والآخر، ويتلقى التكاليف الإلاهية والواجبات الاجتماعية، بقوة لاتعرف الضعف، وثبات لايعرف الملل، وإخلاص لايعرف الرياء، وإيمان لايعرف الشك، فتطيب الحياة ويسعد الناس.

. المقصد الروحي: على أن النفس الإنسانية لابد أن تستجيب لما فرضه الله عزوجل عليها من روحانيات هذا الشهر، وتتأثر به، فتظهر النفس الصائمة في أبدع صورها في تلاوة القرآن الكريم، الذي هو شفاء للصدور، تجد النفس الصائمة هائمة مع خالقها، وهذه سمات الصائم الذي يخلع فيها نفسه، من حياة مادية مظلمة إلى حياة روحية مضيئة.

والصائم تصقل روحه صلاة التراويح التي بها تستنير القلوب، وتستقيم بها النفوس هذه التراويح التي تهذب الروح الإنسانية كما قال (ص) "إن الله عزوجل فرض صيام رمضان، وسنن قيامه، فمن صامه وقامه إيمانا واحتسابا، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه".

ويتضح لنا المقصد الروحي أيضا في ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، تلك الليلة التي تهفو لها القلوب انتظارا، والنفوس أملا في الغفران، فلننتظرالى العيون وهي تتطلع إلى السماء خاشعة معها القلوب، خاضعة معها الأفئدة، فإذا أخذ العبد الصالح الصادق مع نفسه بهذا المقصد الرمضاني، دفع الإنسان إلى التكامل والتسامي والتقدم في حياته، ذلك أن الحياة الروحية تهدف أولا إلى صعود الإنسان بروحه، واتصاله بالله، لكن ذلك لايمكن أن يتم إلا بتسامي الإنسان على الرذائل، وتخليه عنها، ثم تكامله بالفضائل الأخلاقية.

. المقصد الأخلاقي والاجتماعي: إن رمضان شهر التواصل الاجتماعي، فهو يجمع الأفراد والأسر بعضها إلى بعض في أوقات الإفطار، وفي أوقات السحور، في جو عائلي أسري، تغشاه المحبة والإيثار، كما أنه يحقق فرصة للالتقاء والتعارف وتجديد الصلات والعلاقات الاجتماعية، وذلك في المساجد في أثناء الصلوات، وفي حلقات العلم والوعظ، وفي المحافل والندوات الثقافية والعلمية.

إن هذا المقصد يفرض على الإنسان بجانب فطرته، أن يزيد من الألفة والمودة بينه وبين أفراد المجتمع من حوله، حيث تتحرك عواطف الرحمة وألوان الشفقة، فيظهر مبدأ التكافل بين المسلمين، متمثلا في مد يد العون صدقة وزكاة ومساعدة. ومن هنا تزال الفوارق بين الطبقات وبين عباد الله الذين لايفرقهم ولايميزهم يوم الحساب إلا القلب السليم.

. الصوم يحقق المساواة: من مقاصد شهر رمضان تحقيق معنى المساواة في الانقياد والطاعة والتكليف، لافرق في ذلك بين فقير وغني، وعظيم وسوقه، فكلهم يؤدي فريضة واحدة، يشتركون معا في بداية الوقت وفي نهايته، لايتأخر بعضهم عن بعض، ولايسبق بعضهم بعضا، ويجمعهم ظرف زماني واحد، ومشاعر متماثلة، تحقق لهم مزيدا من التآلف الاجتماعي والتعاضد الأخوي.

ولعل أوضح مثال تطبيقي لهذا المعنى من المساواة مانراه في المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف، حين يجتمع الصائمون على اختلاف مستوياتهم ودون تعارف سابق حول موائد الإفطار البسيطة المتواضعة التي تعد للجميع، ويحضرها من شاء، دون تردد ولاتلوم، امتثالا لقول النبي (ص) "من فطر صائما كان له مثل أجره، وصلت عليه الملائكة في ساعات شهر رمضان وعتق من النار" رواه الطبراني وابن حبان.

. الصوم عافية للجسم: من الأمور المتفق عليها عند الباحثين في العلوم الصحية، أن الصوم "الحمية" يحرر الجسم من الالتهابات والميكروبات والصديد، ويخلصه من الرواسب الضارة،والتخمرات المؤذية، ويريح الأعضاء والجوارح، وينشط البدن ويقوي الفكر.

يقول العلامة ابن القيم: " إن للصوم تأثيرا عجيبا في حفظ الجوارح الظاهرة والقوى الباطنه وحمايتها من تخليط المواد الفاسدة واستفراغ المواد الرديئة المانعة لها من الصحة"

ويؤيد رأي ابن القيم الأطباء العصريون بأن الصيام يستخدم الآن علاجا لأمراض كثيرة، كاضطرابات الأمعاء المزمنة، وزيادة الوزن الناشئة من كثرة الغذاء، وزيادة الضغط، والتهاب الكلي الحاد، كما أنهم لاينكرون أن الصوم علاج ناجح للأمراض البطنية والجلدية، وأمراض السكر، والالتهابات الكبدية، وغير ذلك، يقول البروفسور "الكسيس كاريل" الحائز على جائزة نوبل في الطب:" ان كثرة وجبات الطعام ووفرتها تعطل وظيفة أدت دورا عظيما في بقاء الأجناس البشرية، وهي وظيفة التكيف مع قلة الطعام، ولذلك كان الناس يلتزمون الصوم في بعض الأوقات، والأديان كلها تدعو الناس إلى الصوم، وظهر الآن أن من فوائده تحريك سكر الكبد، وتحريك الدهن المخزون تحت الجلد، مما ينتج عنه كمال في الوسط الداخلي للجسم، وسلامة للقلب وتنظيف للأنسجة.

بل ان كثيرا من الأطباء يعمدون إلى نصح مرضاهم بالصوم "تقليل الطعام وضبط مواعيده، وهذا ماقصده الإسلام في تشريعه للإفطار والسحور، ثم الامتناع عن المفطرات بقية اليوم، وصدق رسول الله (ص) حيث يقول: "صوموا تصحوا"(رواه أحمد والطبراني وأبو نعيم) وقد جاء في إحدى المجلات المتخصصة انه كتب على مدخل إحدى المصحات الطبية في المانيا عبارة "صوموا تصحوا" وكتب في أسفلها عبارة "محمد بن عبد الله".

فالصوم يقينا . كما أثبت العلماء والعلم الحديث ذو فائدة كبرى في الحفاظ على الصحة المتوازنة، وفي عافية الجسم، وهكذا تتبدى لنا الحكمة الربانية الجليلة في تشريع الصوم ومقصده، وجعله فرضية في الدين الإلهي الخاتم، وفيما قبله أيضا من تشريعات السماء.

هذه بعض مقاصد الشريعة الإسلامية من شهر رمضان ومن الصيام فيه، وهي في مجملها تتنوع إلى أهداف سلوكية وإنسانية واجتماعية.

ومهما ذكرنا للصوم من مقاصد فلن نوفيه حقه، لما اشتمل عليه من فيوضات متنوعة خيرة تتجدد كل عام، وتحقق المعنى المختزن في قوله تعالى: " لعلكم تتقون" وقاية مادية ومعنوية مطلقة وأخيرا فإنه بتضافر ماتهدي إليه النصوص المعصومة ومايؤكده العلم والتجربة من آثارالصوم، وحكمه، وأسراره، وفوائده الجليلة النافعة، روحيا ونفسيا وصحيا واجتماعيا، فإن استيعاب المسلمين لغايات ودلالات ومقاصد البناء الاجتماعي والحضاري في شعائرهم التعبدية، وشرائعهم السلوكيةوالفكرية وغيرها، يحتم عليهم تقديم صورة مشرفة لعباداتهم ومناسكهم في مجتمعاتهم، ليس، فقط في شهر رمضان، وإنما على سبيل الدوام حتى تكون هذه المجتمعات في موضع القدوة والمثل.

ميثاق
الرابطة
صحيفة أسبوعية جامعة
العدد 1001
السنة 35
الجمعة 17 رمضان 1423 هـ
الموافق 22 نونبر 2002 م

المدير المسؤول:
الأمين العام بالنيابة
الشيخ ماء العينين لاراباس

مدير النشر:
إدريس كرم

رئيس التحرير:
محمد الخضر الريسوني

التحرير:
محمد القاضي
مصطفى ودادي

الثمن:3 دراهم
رقم الإيداع القانوني: 1994/160
الترقيم الدولي:ISSN: 4348

عنوان البريد الالكتروني:
rabitat @iam.net-ma
موقع الانترنيت
www.rabitat. ma

الاشتراكات السنوية
داخل المغرب: مائة وخمسون درهما

الحساب البنكي:25201015549.01
وكالة بنك الوفاء-حي أكدال -الرباط

التصفيف والإخراج الفني:
ميثاق الرابطة
العنوان:107- شارع فال ولد عمير.
رقم 7- أكدال - الرباط
الهاتف: 51 03 67 037
الفاكس: 93 45 67 037
السحب:
مطبعة نداكوم - الرباط- المغرب.

ترتيب المواد لا يخضع إلا للمقتضيات الصحافية والتقنية

طبع من هذا العدد 4000 نسخة

ميثاق الرابطة

العدد 1001 الجمعة 17 رمضان 1423 هـ .الموافق 22 نونبر 2002م

جلالة الملك يترأس الدرس الأول من سلسلة الدروس الحسنية الرمضانية

لقاء المغاربة بالشرفاء متميز في مجموع دار السلام ومن سماته النضال والالتحام والدوام

ترأس أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس مرفوقا بصاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد يوم الثلاثاء 8 رمضان بالقصر الملكي بالرباط الدرس الأول من سلسلة الدروس الحسنية الرمضانية التي تلقى في حضرة جلالته. الذي ألقاه وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية السيد أحمد توفيق في موضوع « النسب الشريف والسند الصوفي في تاريخ المغرب » انطلاقا من الحديث النبوي الشريف « لاتزال طائفة من أمتي قائمين على الحق في المغرب حتى تقوم الساعة».

حيث تطرق الأستاذ المحاضر في مستهل هذا الدرس إلى العناصر المكونة للنسيج السياسي والاجتماعي للمغرب الإسلامي وإلى طبيعة العلاقة بين المؤسسة الملكية وقاعدتها الاجتماعية والسر الكامن وراء الاستقرار والاستمرار والتفرد الذي يميز المملكة ، مبرزا في هذا الإطار عنصرين أساسين هما الشرفاء والصوفية في بعدهما التاريخي كفاعلين في صنع مصير يفسر حاضر المغرب الأخلاقي إلى حد بعيد.

وقدم المحاضر مختلف الصيغ والتفسيرات الواردة بشأن الحديث الشريف «لاتزال طائفة من أمتي قائمين على الحق في المغرب حتى تقوم الساعة، مشيرا إلى أنه إذا كانت أحاديث أخرى عامة قد وردت بهذا المعنى فإن الحديث المعين لمكان هذه الطائفة قد نص في صيغة منه على المغرب.

وأضاف المحاضر أن مفسري الحديث ذهبوا إلى أن الصيغة التي تنص على المغرب بالذات هي التي تبناها علم من أعلام الملة هو الإمام أبو بكر بن محمد بن الوليد الطرطوشي الذي علق على هذا الحديث في رسالة وعظية مشهورة إلى يوسف ابن تاشفين المرابطي بقوله « والله أعلم هل أرادكم بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم معشر المرابطين أو أراد بذلك جملة بلاد المغرب لما هم عليه من التمسك بالسنة والجماعة وطهارتهم من البدع والأحداث في الدين والاكتفاء بآثار من مضى من السلف الصالح رضي الله عنهم.

وبعدما أكد أن الحديث المذكور يعد من أعظم معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الآن ، أبرز المحاضر أن الأوطان لا تتفاضل إلا بأهلها ولا مفاضلة بين الناس إلا بالأعمال الصالحة، مشيرا في السياق ذاته إلى وجود جملة من الأحاديث التي تدل على مكانة آل البيت وواجب محبتهم بين المؤمنين.

وأضاف أنه مع مرور الزمن اختص لقب « الشريف » بذرية علي وفاطمة من بني الحسن والحسين، مشيرا إلى أنه ربما ميز الواحد من ذرية الحسين بـ «السيد » ولاسيما في المشرق والواحد من ذرية الحسن بـ «الشريف » أما المغاربة فيخاطبون « الشريف» عامة بلفظ «مولاي» ولعلهم أخذوها كما سمعوها من راشد صاحب المولى إدريس وارتبط تبجيلهم بالشفاعة المرجوة من جدهم المصطفى عليه السلام.

وقال إن الشرفاء تفرقوا بعد اضطهادهم خلال الفتن الكبرى في تاريخ الإسلام في عدد كبير من بلاد دار الإسلام ليقوموا بأدوار دينية واجتماعية وسياسية فأقاموا دولا وإمارات في عدة أصقاع ، معتبرا أن لقاء المغاربة بالشرفاء هو لقاء متميز في مجموع دار الإسلام طبعته سمات النضال والالتحام والدوام.

وأضاف المحاضر أن هذا اللقاء تجسد في أربع أزمات تاريخية سياسية كبرى ، وقعت الأولى عندما تقبل المغاربة الإسلام وانخرطوا في دعوته بحملها إلى الأندلس ، لكن بعض حكام الدولة المركزية ارتكبوا أنواعا من الاستغلال باسم الدين الجديد ، مما أثار غضب المغاربة ومس كرامتهم وأدى إلى اصطدامات نتجت عنها قطيعة مع الخلافة وأتاحت الفرصة لنشاط مختلف أنواع الفرق المعارضة على أرض المغرب.

وذكر بأن المولى إدريس بن عبد الله عندما عاد لتأسيس الدولة الإدريسية وجد المغاربة في الشرفاء الحل السياسي الأمثل لأزمتهم الدينية والاجتماعية ذلك أنهم أعادوا بمبايعتهم الطوعية للأدارسة الارتباط مع أصول الخلافة.

ولاحظ في ذات السياق أن وجود الشرفاء أعطى للهامش الجغرافي في المغرب قيمة سياسية مركزية حيث تحققت كل الغايات المتوقعة من هذا الارتباط بتكوين دولة وبناء أسس حضارة وثقافة إسلامية.

أما الأزمة الثانية التي التقى فيها ضمير هذه الأمة بالأشراف فقد تجلت . يقول الأستاذ المحاضر. في استقدام أعيان قبائل تافلالت مولاي الحسن الداخل في أواخر القرن السابع الهجري ، مضيفا أنه وبعد أن أخذت الإمكانيات الدفاعية للمغرب تضعف أمام الحلف الإيبيري الكاسح دخل المولى علي الشريف السجلماسي الأندلس برسم الجهاد بدعوة من أعيان غرناطة لاسيما بعد أن أبلى البلاء الحسن في الدفاع عن طنجة سنة 841هـ.

وبخصوص الأزمة الثالثة أشار المحاضر إلى أنه بعد قرنين من الزمن. ما بين تاريخ احتلال سبتة وتاريخ تحرير أكادير ضعفت السلطة المركزية الوطاسية إلى حد أفقدها كل مصداقية وطنية مما أتاح للزوايا تأطير حركة تعبوية حملت إلى الملك الأسرة السعدية الشريفة.

أما الأزمة الرابعة فتجسدت في ضعف السلطة السعدية وانقسام المغرب إلى إمارات محلية متعددة مما دفع بالمولى محمد بن الشريف ثم أخوه المولى رشيد بن الشريف بن علي دفين مراكش إلى القيام بتأسيس الدولة العلوية الشريفة كدولة تستند إلى مشروعية التحرير والتوحيد وتقود المغرب وفق توجه يحقق له مضمون رسالته الحضارية .

وفي معرض تطرقه إلى الصوفية كعنصر فاعل في تاريخ المغرب قال المحاضر أن الصوفية بنوا أمرهم على واجب تزكية النفس وتطهيرها حتى تتلخص من أنواع الشرك التي لا تعني عبادة مخلوق دون الخالق، بل محاربة الاستغراق في الأنانية التي تحجب العبد عن حقيقة التوحيد ، مشيرا إلى أن الصوفية اتخذوا الذكر والصحبة في الله وسيلة لتلك التربية فقالوا إن الصوفي لا يملك ولا يملك (بضم الياء) وهو غير قابل لأن تستعبده نفسه فكيف يستعبده غيره.

وأضاف أن المد الصوفي لم يكن حركة هستيرية جماعية، بل كان حركة إعادة استنباط القوة وتجديد التعبئة للتكيف مع الوضع الجديد والانشغال الإيجابي بتأطير المجتمع مما نشط أدوار الصوفية في العهد العلوي على الخصوص ، وهي أدوار دينية وتعليمية وسياسية واجتماعية ، معتبرا أن هذه الأدوار تبين أن المنحى السلوكي المعروف بالتصرف غلب عليه في المغرب الانشغال الاجتماعي والعمراني.

وخلص المحاضر إلى أن الأمل معقود في عهد أمير المؤمنين « أن يربط الحاضر بالماضي وأن تتفجر فيه منابع الخير المستمد من حرقة قلوب المحبين وسمو همم العاملين المهتدين في علمهم (...) عسى أن يستمر المغاربة في طمأنينة وعلى بصيرة في قيامهم داخل هذا الميثاق الذي بينهم وبين الشرفاء حتى يكونوا على الدوام قادرين على إتحاف الإنسانية بما يذكي رشدها.